الجامعة التونسية
نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية

عقيدة البعث في الإسلام

تأليف
الدكتور التهامي نقرة

سلسلة الدراسات الإسلامية
2

0،800 د.ت.

عقيدة البعث

في الإسلام

الجامعة التونسية

نشرية مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية

عقيدة البعث في الإسلام

تأليف

الدكتور التهامي نقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

عقيدة الحياة بعد الموت ، وبقاء الروح بعد فناء الجسد بوصفها كائنا حيا لها وجود مستقل خارجه ، كما لها اتصال به في عالم البرزخ على شكل هو فوق التصور ، ثم العودة اليه عند الحشر للحساب والجزاء ؛ هي عقيدة البعث الفاصلة بين الايمان والالحاد ؛ بين التفسير الديني لحقيقة الانسان الذي يجعل لتاريخه وحياته ومصيره معنى اسمى وغاية أبعد ، ويكون الى جانب أعماله الخارجية حياة باطنية نسميها « الضمير الديني » ؛ وبين التفسير المادي الذي يقصر الانسان على الوظائف الفيزيولوجية ثم يسدل الستار نهائيا بعد موته على مسرحية حياته ، اذ الانسان في نظرته ليس الا الجسد •

ولئن كان الايمان بالمعاد عنصرا اساسيا في العقيدة الاسلامية ، بل وفي جميع الاديان السماوية السابقة قبل أن تحرف ، فليس ذلك لمجرد الدعوة الى فضائل الاعمال ومكارم الاخلاق ؛ باعتبار ان هذا الايمان يدفع الى الخير والصلاح، ويصد عن الشر والفساد ؛ ولا لمجرد التأثير لاحتمال المكاره في العاجلة ، واتقاء الخسران الابدي في الآجلة ؛ أو اعداد الناس لتلقي التعاليم الدينية بالقبول والاذعان ؛ ولا لمجرد تسلية المحرومين والمنكوبين والمضطهدين بأفراح السماء أملا في الحصول على حياة أخرى سعيدة ، بل لكل ذلك مجتمعا ؛ ولامر آخر لا يقل أهمية ، وهو : أن هذه العقيدة هي عين الحقيقة على أساس الاثبات الخارجي للروح ، وبقائها بعد الموت •

ولعل الجديد في هذه القضية انها لم تعد وجدانية فقط ، بل صار في الامكان اثباتها بالدليل التجريبي ، وذلك بما فتحته الاكتشافات العلمية الحديثة من آفاق جديدة •

فقد اكد العلم الحديث ان جسم الانسان يتألف من ذرات تسمى « الخلايا » وهذه الخلايا تتحطم وتفنى في كل آن ، والغذاء يعوض اجسامنا عن تلك الخلايا التي نفقدها كل يوم • فكأن الجسم بناء يتألف من مئات الملايين من قوالب الطوب ، وهو يستبدل الطوب بطوب آخر في كل لحظة • فاذا كانت الروح

مظهرا من مظاهر الجسم فقط وجب ان تطرأ عليها التغيرات التى تحدث للجسم، كما تتأثر آلة الموسيقى عندما يتكسر وتر من اوتارها ، ولكن هذا لا يحدث فيما يتعلق بالروح (1) ، لان الانسان فى الداخل لا يتغير ، بل يبقى كما كان. علمه وعاداته وحافظته وامانيه وأفكاره ، تبقى كلها كما كانت .

فكم من قلوب زرعت ، وكم من أعضاء عوضت دون أن يتغير شىء فى الشخصية !

فلقد اثبتت التجارب العلمية ان الشخصية الانسانية لا تنحصر فيما نسميه « الشعور » بل الجانب الاكبر منها يبقى وراء الشعور او (اللاشعور) ، وذلك مما يبطل رأى بعض الفلاسفة القائلين بأن جميع أفعالنا العقلية الشعورية تتم فى زمن محدد . ولكن لا شىء فى (اللاشعور) يطابق الفكر الزمنى ؛ فكأنهافى الحقيقة أزلية ، لان الدوافع والتأملات الحبيسة التى لم تخرج قط عن اللاشعور تبقى محفوظة آمادا طويلة ، وكأنها لم تحدث الا بالامس .

وقد سلم علماء النفس بهذه النظرية ، وهى : ان عمل اللاشعور لما كان خارجا عن حدود الزمان ، فانه لا يزول الى الابد ، ولا يؤثر فيه تقلب الحدثان . فهو وجود منفصل عن الجسم الذى يخضع لحدود الزمان والمكان . وذلك مما يفسر : أن الجسم شىء آخر يختلف عنه نوعا ، وينفصل عنه وجودا ، وهو الروح .

وكل واحد منا يستطيع أن يحس بداخله هذا الوجود الروحى على صورة حضور وشخوص وديمومة مغايرة تماما للوجود المادى المتغير المتقلب النابض مع الزمن خارجه . هذه الحالة الداخلية التى ندركها فى لحظات الصحو الباطنى هى المفتاح الذى يقودنا الى الوجود الروحى بداخلنا .

ثم ان تطلع الانسان نفسيا الى عالم آخر دليل فى ذاته على أن شيئا مثل ذلك موجود فى الحقيقة ، أو أنه ــ على الاقل ــ خليق أن يوجد ، كالظما ، فهو يدل على الماء ، وعلى علاقة خاصة باطنية بين الماء وبين الانسان .

كما أن الظمأ الى العدل على وجوده ، فلا بد له من يوم توضع فيه موازينه (2)

---

(1) وحيد الدين خان : الدين فى مواجهة العلم : 31

(2) مصطفى محمود . حوار مع صديقى الملحد : 56 ــ 58

والتاريخ يدلنا على أن الشعور البشرى بحياة ثانية بعد الموت موجود منذ أقدم العصور كما سنبين ذلك فى هذا البحث .

ولو كان هذا الشعور باطلا من أساسه فكيف يستمر مع الانسانية أحقابا عميقة الجذور ، ممتدة الاطراف ؟

ثم ان التجربة التى نعيشها اليوم ، تجربة الحياة التى ظهرت مرة واحدة لماذا نجعل حدوثها ثانية أمرا مستحيلا ؟

انه لا شىء أكثر تناقضا وعداء للمنطق من ان نسلم بوقوع حادث فى الحال ، ثم ننفى وقوع مثله فى المستقبل بلا دليل او برهان . فمن قدر على فعل شىء لا يعجز عن اعادته أخرى .

واذا كانت هذه المشاعر والحقائق لا تكفى لاحساس البشر بالمسؤولية أمام المحكمة الالهية العادلة التى ستقام يوم الحساب ، فما الذى يفتح أعينهم وينير بصائرهم ؟

قال الله تعالى مبينا غاية البعث : « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » (1)

ان من يؤمن بالله وبقدرته القاهرة يؤمن فطريا بالمعاد ، اذ لا يوجد طريق آخر تتجلى فيه عدالة السماء ، وتبرز نتائج العلاقة بين الانسان وربه ، وبينه وبين الناس غير هذا الطريق ... قد يقول الماديون والطبيعيون : ما الذى يجنيه المرء من وراء البحث عن هذ السراب فى عصر سيطر فيه العلم او كاد على ما حوله ، حتى اقتحم الانسان به المجهول ، وارتاد الفضاء ، وغزا القمر ؟ انه من العبث ان يضيع وقته ويشغل فكره بمثل هذه القضايا الوهمية ؟ والناس من حوله فى سباق مع الزمن ، وفى صراع مع الحياة ، وفى رهان مع التقدم العلمى والحضارى .

ولو أدرك هؤلاء الحقيقة لايقنوا ان من أجل ما يبحث فيه الانسان جانبه الروحى ، ومصيره الابدى بعد الموت ، مثلما نراه اليوم حريصا كل الحرص على التخطيط والاعداد لمستقبله فى هذه الحياة الفانية . بل ان اعداده لمصيره

---

(1) سورة النجم : 31 .

الابدى أوكد وأهم • وما فائدة العلم ان لم يحقق الى جانب الرقى المادى رقيا روحيا ، ولم يكن كمالا للدين ؟ كما قال الشيخ مصطفى عبد الرازق :

« لا اعتقد ان ارتقاء العلوم الحديثة ، وتقدم المدنية يبعد الناس عن الحياة الدينية والمعانى الروحية • فان الله أراد للناس ان يكملوا فى أمر دنياهم • وليس الكمال فى أمر الدنيا الا بأن ترتقى حضارتهم ، وتكمل مدنيتهم » (1)

فاذا كان سلم الرقى المادى هو الفكر الذى حل الكثير من الغاز الطبيعة وأسرار الوجود ، فان سلم الرقى الروحى هو الروح التى هى من سنى الله المبدع والتى تجعل للانسان قيمة إلهية ، بما ينشر من ضياء ، ويبث من فضيلة ، ويزرع من خير ، ويغمر به الناس جميعا من عطف وحب ، ويمجد به الله من صلاة وحمد حتى يجعل من روحه الطاهرة واحة :

ماؤها الايمان أما غرسها فالرجا والحب والصبر الطويل
جوها الاخلاص ، أما شمسها فالوفا والصدق والحلم الجميل

وبذلك تتغير نظرته للحياة ، ولقيم الاعمال المعنوية ، فيرى بعين البصيرة ما وراء النتائج العاجلة من سلوك الناس وتصرفاتهم كما قال ابن عطاء الله السكندرى فى مواعظه :

« لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة اقرب اليك من ان ترحل اليها ، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها »

وهكذا يتجلى لكل ذى بصيرة ان لا موت الا فى هذه الحياة • فمن فارقها انتقل الى حياة خالدة لا موت فيها •

ولكن شتان بين موت وموت • فموت المؤمنين العارفين نفحة حياة وفوز ونجاة ، وموت الجاحدين والمجرمين هموم وبلاء ، وحرمان وشقاء •

« فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون • ونحن أقرب اليه منكم ، ولكن لا تبصرون • فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين • فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم • وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين • وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم • ان هذا لهو حق اليقين »(2)

المؤلف

(1) مجلة الكتاب • س : 3 • ج : 1/9 •
(2) سورة الواقعة : 88 — 95 •

ماذا بعد الموت ؟

اقتناع الانسان بعودة الحياة بعد الموت ، وبعد فناء الجسد ليس بالأمر الهين ، لأن مثل هذه القضايا الماورائية لا يجزم بصحتها او بطلانها عن طريق التخمين أو التفكير أو التجربة • فالانسان لا يملك أن يعرف الحقيقة كما هى الا بعد الموت • والسابقون من الموتى لم يعد أحد منهم الى حياتنا ليحدثنا عما يجرى هناك، • والعلم عاجز حتى اليوم عن اقتحام المجهول فى عالم الغيب ، ولن يقدر على هذا أبدا •

لذلك نجد من مذاهب الفلسفة الحديثة ما ينكر الروح انكارا شديدا ويرى أن الشعور فى ذاته ليس الا التفاعل والرد العصبى لما يحدث من حركة ونشاط فى العالم الخارجى •

وبناء على هذه النظرية فانه لا مجال للتساؤل عن امكان الحياة بعد الموت ، وذلك لتحلل النظام الجسمانى ، وانعدام المركز العصبى فى العالم الخارجى (1)

وفى هذا المعنى يقول جميل الزهاوى على لسان من انكروا عودة الانسان بعد الموت ، أو لعله تأثر ببعض الفلسفات التى لا تؤمن بالروح :

ما للحياة وراء الموت تجديد
فلا يقوم من الأجداث ملحود

(1) وحيد الدين خان • الاسلام يتحدى : 127

القبر آخر بيت للألى هلكوا
والحس فى الهالك الملحود مفقود (1)

ولكن هذا الانسان الضعيف بجسمه ، القوى بروحه وفكره ، عز عليه أن يرى الموت يتخطف الناس فجأة ، فيفرق الجمع ، ويشتت الشمل بين الأحبة ، ثم لا يكون لهم لقاء بعد هذا الفراق • فرفض منذ أقدم العصور فكرة العدم المدمرة لآماله وطموحه الى البقاء والخلود ولو فى شكل آخر من الحياة • وعبر عن رفضه لفكرة الفناء الأبدى بمختلف الوسائل والطرق كتحنيط الجثث ، ونحت التماثيل ، واقامة النصب التذكارية حتى لا تنتهى رحلة الحياة التى ابتدأت بظلمة الرحم الى ظلمة القبر • بل إن بعضهم يرى فكرة الخلود فيما يتركه الانسان بعد موته من طيب الذكر وجليل الأثر فى الحياة الدنيا كما قال شاعر قديم :

المرء بعد الموت أحدوثه	يفنى وتبقى منه آثاره
يطويه من أيامه ما طوى	لكنه تنشر أسراره
وأحسن الحالات حال امرىء	تطيب بعد الموت أخباره
يفنى ويبقى ذكره بعده	إذا خلت من شخصه داره (2)

أو كما قال فوزى المعلوف :

إيه يا موت لن تمس خلودى
فاقض ما شئت لست وحدك تقضى

(1) ديوان الاوشال : 127
(2) عيون الاخبار • لابن قتيبة ج 3/519

وإذا كنت مالكا أمر روحى
مثلما أنت مالك أمر نبضى
فأنا خالد بشعرى على رغم زمان عن قيمة الشعر يغضى (1)

أو كما قال العقاد :

فيم عشنا ، وغاية العيش موت
فيم متنا ، وغاية الموت بقيا ؟
أعجب الحالتين عندى حى
سوف يفنى،لاميت سوف يحيا(2)

أو كما قال جبران :

يا نفس لولا مطمعى بالخلد ما كنت أعى
لحنا تغنيه الدهور
بل كنت أنهي حاضرى قسرا فيغدو ظاهرى
سرا تواريه القبور (3)

وكم تساءل الشعراء والفلاسفة القدامى عن سر الموت ، وعما بعده ، مرددين في تحسر وأسى ما ينتظر الانسان من مصير محتوم

وازاء هذه الحقيقة ، حقيقة الموت ؛ فانه لا مناص من الاحساس أو التسليم بأن الانسان جسد وروح • ومن هنا جاءت فكرة :

(1) عيسى اسكندر المعلوف : ذكرى فوزى المعلوف : 15
(2) عباس محمود العقاد : بعد الأعاصير : 23
(3) جريدة الشام : 1932 • ع • 9/38 •

الروح في الأساطير القديمة

فان الانسان فى العصور الغابرة لم يفته أن يعرف من ظواهر الروح أنها سر الحياة ، ومتى فارقت الجسد فسد ، ولكن أين تمضى ؟ ذلك ما تاهت فيه الظنون وتحيرت العقول .

قال المعرى :

وقد رأينا كثيرا بيننا جسدا
بغير روح ، فهل روح بلا جسد ؟ (1)

وقديما عرف المصريون « أوزيريس » واتخذوه رمزا للطبيعة ، لأنه ــ حسب اعتقادهم ــ عاش ومات وبعث ، كما تعيش الطبيعة وتموت وتبعث . ثم عرفوه الها للموتى ، يتولى محكمة الحساب بعد بعث الارواح

وتورد لدى الأساطير المصرية القديمة صورة لهذه المحاكمة . فالأخيار تقودهم الآلهة المحيطون بأوزيريس الى جنة الأموات الصالحين حيث ينعمون بالسعادة الأبدية ، والأشرار يسلمون الى الآلهة « معات » وهى كلبة مفترسة على استعداد دائم لتمزيق كل من حكم عليه بالعقاب ، انها تثير الرعب بفمها الفاغر كالأتون ، ومخالبها الحادة كالسكين ، ورأسها الطويل كالتمساح .

ومن هنا كانت العقيدة المصرية القديمة تؤمن بالبعث ، والحساب . وبأن الميت يعيش فى قبره ، لذلك يودع معه بعض

---

(1) لزوم ما لا يلزم . ج : 1/273

الأثاث ويحنط ، ويزود بتعاويذ وتمائم تكتب على ورق البردى ٠

وأما الديانة الزرادشتية عند الفرس فتتصور مصير الروح على هذا النحو ٠ (عندما يموت الانسان تظل روحه معلقة الى جانب جسمه ثلاثة أيام بلياليها ، إما منعمة بنعيمه أو معذبة بعذابه ٠ وفى فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح معطرة ان كان الميت من اهل الخير ، أو نتنة ان كان شريرا ، فتحملها الى موضع يلتقى فيه اما بفتاة جميلة ، واما بعجوز مفزعة على حسب أعماله ثم يقاد الى معبر الحساب ، أين يوجد ثلاثة قضاة ٠ وهناك ينصب ميزان توضع فى احدى كفتيه حسناته ، وفى الأخرى سيئاته ٠ وبناء على صعود احدى الكفتين او هبوطها يصدر الحكم على مصير هذا الميت ٠ وعلى أثر انتهاء الوزن وصدور الحكم يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذا المعبر ، أو الصراط الممتد فوق الجحيم الذى يتسع أمام الأخيار ، ويضيق أمام الأشرار حتى يكون أدق من الشعرة وأحد من الشفرة ، ليهووا سريعا فى جحيم مظلم ٠ وأما الأخيار فيذهبون الى النور يستقبلهم « أهورامازدا » اله الخير خالق الكون وحافظه من الفساد ، وهنالك يستمتعون فى كنف « مازدا » بالسعادة الأبدية (I)

أما الديانات الهندوكية والبوذية فانا لا نجد فيها عالما آخر للحساب والجزاء ٠ انما نجد مكانه « النيرقانا » وهى الفناء فى الروح الأعظم وان اختلفت وسائل الوصول الى هذه المرتبة بين الديانتين

(I) سيد قطب ٠ مشاهد القيامة فى القرآن : 2I

فالعقيدة البرهمية تقول : لكل كائن حى روح تأتى من « براهما » روح العالم ٠ ولما كان براهما لا يموت ، فان روح الكائنات الحية لا تموت ٠ وعند موت الانسان تخرج روحه من جسده وتدخل على الفور جسد طفل ولد لتوه ٠ فان كان ممن يحيى حياة طيبة صالحة ولد فى طائفة أعلى ، وان كان يحيى حياة مليئة بالشرور والآثام ولد فى طائفة أدنى ٠ وقد يولد عليلا ليشقى طوال حياته عقابا له ٠ وقد يولد فيلا ٠ واذا صار فيلا شريرا فانه بعد موته يولد برغوثا أو بعوضة ٠ ومن هنا جاءت عقيدة تناسخ الأرواح عند الهندوس ٠ فالروح تتقمص عديدا من الأجساد خلال رحلتها فى الفضاء الخارجى حتى تصل الى هدفها النهائى ٠

لكن ما مصير تلك الروح التى تظل خيرة مع مجرى الزمن ؟ إنها تنتهى من دورة الحياة لتعود الى روح العالم وتتحد معه ٠ تلك هى السعادة الأبدية (I) فحكمة البراهمة تتلخص فى تجدد النفس وتخلصها من البدن كى تفنى فى براهما (الحقيقة بالذات) ٠ ومن لم يصل الى هذا التجرد بقيت نفسه كالفراش الحائر تنتقل من بدن الى بدن في رحلة لا تنقطع ، وتناسخ او تقمص لا حد له ٠

بينما الحكمة الفارسية فى ديانة زرادشت تصور العالم على أنه مجموعة أرواح بعضها خيرة والأخرى شريرة ، وهى فى صراع مستمر الى أن يقدر فى آخر الزمان لروح الخير الانتصار والغلبة (2) وكان اليبانيون يخافون الموتى ويعبدون أرواحهم

(I) سليمان مظهر ٠ قصة الديانات : I7 ـ 56

(2) ابراهيم مذكور ٠ فى الفلسفة الاسلامية : I22

لأن غضبهم قد ينزل بالعالم شرا كبيرا ٠ ومن أجل استرضائهم كان لا بد أن يضع الناس للموتى هدايا ونفائس فى قبورهم كالسيف اذا كان الميت رجلا ، والمرآة اذا كان امرأة ٠ ويحدث فى أحيان كثيرة أن يلجأ الناس الى التضحية البشرية خاصة اذا أبى المطر الغزير أن يتوقف ، أو أريد لبناء كبير أن يثبت ولا ينهار ٠ وكم حدث أن دفع الأتباع مع سيدهم الذى مات ليدافعوا عنه فى أول مراحل الآخرة (1)

وفى كثير من العقائد الوثنية الأخرى نجد حديثا عن الأرواح فى أساطيرهم يدل على مدى ايمانهم بها ، وايمانهم بعالم آخر للقصاص والحساب ٠ والانسان لا يسأم من البحث عن الخلود والسعى وراءه للحصول عليه ، بعد أن أعجزه أمر التغلب على الموت فى هذا العالم ٠

(1) قصة الديانات : 246 ٠

الرّوح عِند فلاسفة اليُونان

وأكثر الفلاسفة اليونانيين على أن الروح عنصر لطيف مختلف عن البدن متى فارقته عادت إلى عالمها العلوى ، سابحة فى عوالم الفلك ، غير قابلة للموت كما قال « فيثاغورس »

وعند أفلاطون أنها جوهر الانسان ٠ وهى ذات مستقلة عن البدن ، فليس جزءا من ماهيتها ، ولا يدخل فى تعريفها ٠ وهى تهبط مكرهة من عالم علوى الى أحد الأجسام ٠

ومن الواجب أن تعمل ما استطاعت على التطهر من الأدران التى تلحقها بسبب وجودها فى سجن الجسد ٠ والموت هو سبيل الخلاص لها ٠ والنفوس خالدة لا تموت ٠ وأرسطو كذلك يراها مستقلة عن الجسم ، ذات وجود سابق عليه ، وتخلد بعده فلا تموت (1)

ويقول أفلوطين : ربما خلوت بنفسي،وخلعت بدنى ، وصرت كأنى جوهر بلا بدن ، فأكون داخلا فى ذاتى ، خارجا عن جميع الأشياء ، فأرى فيها من الحسن والبهاء ما أبقى له متعجبا مبهورا ، فأعلم أنى جزء من أجزاء العالم الأعلى (2) وقد تناول اليونانيون النفس بالدرس والتحليل ، وكانت لهم فيها آراء

(1) بنت الشاطىء ٠ القرآن وقضايا الانسان : 180

(2) راجع كتاب (الروح الخالدة) : 37

ونظريات مختلفة • فمنهم الماديون الذين اعتبروها مجرد جسم لا ميزة له ولا اختصاص • ومنهم الروحيون الذين ألهوه عن عالم المادة ، ورأوا فيها قوة الهية روحية تهبط الى البدن من العالم العلوى • ومنهم من وقف موقفا وسطا ، فجعلها مزاجا بين الجسم والروح ، أو بخارا حارا كما قال الرواقيون ، أو صورة للجسم كما ارتأى ذلك أرسطو وأتباعه (1)

وإذا كان الباحثون قد انقسموا قديما إزاء طبيعة النفس الى ماديين وروحيين ، فمن الخطا أن نسوى بين مادية التاريخ القديم ، ومادية العصر الحديث • ذلك أنه لا يوجد لدى اليونانيين مادى خالص ، ولا روحى خالص ، وكثيرا ما التقى الأمران • وفوق هذا فهم متفقون على القول بالنفس وبوجودها، وعلى أن للظواهر النفسية مصدرا وأصلا تعتمد عليه بجانب الجسم • ومن هنا كان اختلافهم بين المادة والروح اختلافا فى الرتبة لا فى الطبيعة (2) • لذلك نرى فى جميع أطوار الفكر اليونانى أن المادة التى يتكون منها الوجود هى التى توحي الى جوهر يرتفع عن المادية فى ماهيته ، بمعنى أن التأمل فى الطبيعة بحثا عن أصلها وكنه وجودها لم يكن هدفا لذاته ، ولكنه وسيلة الى عالم الروح • فكانت المدرسة الفيثاغورية ـ وهى ذات نزعة صوفية ـ تمجد الروح ، وتحيا حياة الزهد والتقشف (3) وكانت

(1) فى الفلسفة الاسلامية : 124

(2) Janet etséailles. Histoire de la philosophie ; 25

(3) احمد امين وزكى محمد • قصة الفلسفة اليونانية • ج : 1/41

الأفلاطونية الحديثة تبحث عن علة وجود المادة ، وجوهر الروح ، وانطلاقها من سجنها الى عالم الحقيقة الأزلى وقد قال أفلاطون : إن المعرفة تصعد من المحسوس الى المعقول ، وتخضع الأول للثانى (1)

(1) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية : 8

فكـرة خلود الرّوح

ففكرة خلود الروح حينئذ قديمة ، شغف الانسان بالبحث فيها منذ أقدم العصور ، بدافع التطلع الى المعرفة والظما الى الحقيقة ؛ أو بدافع الثأر من الموت الذى قهر العباد ، والأمل فى امتـداد الحياة على ما فيها من شقاء وآلام ٠

ولعل غريزة حب الحياة كانت أول ملهم الى القول باستئنافها والاحتفاظ بها ٠ وقد صور الانسان هذا الاستئناف للحياة بصور شتى وأشكال متباينة ، هى فى جملتها صدى لرغباته أو انعكاس للحياة التى يحياهـا ٠ فتصور الصعاليـك الذين يعيشـون على السلب وسفك الدماء ان الخلود يعنى عودة الانســان فى شكل مارد جبار يثأر لنفسـه ممن اعتـدى عليـه ٠ وتصـوره بعض المتحضرين ضربا من اليقظة يرفل به المرء فى حلـل السعـادة والنعيم ٠ ولهذا أعدوا فى القبور وسائل الزخرف والترفيه ٠

ثم جاءت الأديان السماوية فصورت الخلود فى أسمى معانيـه وأغدقت على الحياة الآخرة شتى الأوصاف ، بين مادية وروحية ، حسية ومعنوية ، كى تقنع العامة وترضى الخاصة ٠ وكل ما جاء فيها من تصوير أو تشخيص فهو حق ، لأن مصدره الحق ٠ وليس ثمة فلسفة الا قالت كلمتها فى الخلود ٠

واذا شئنا ان نمثل لمختلف عصور التاريخ بفيلسوف ، فهناك ثلاث شخصيات لامعة ، لا يكاد يذكر موضوع الخلود الا ذكـروا معه ، وهم : أفلاطون ، وابن سينا ، وكانط ٠ (1)

(1) فى الفلسفة الاسلامية : 176 ـ 177

فابن سينا مثلا يقص علينا فى خيال يشبه خيال أفلاطون قصة نزول الروح من عالمها ، ومقامها فى هذا العالم الفانى ، ثم عودتها الى اللانهاية حيث أبدية الخلود فيقول :

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع ٠
محجوبة عن كل مقلة ناظر وهى التى سفرت ولم تتبرقع ٠
وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك وهى ذات توجع
ان كان أهبطها الاله لحكمة طويت عن الفذ اللبيب الأروع
فهبوطها لا شك ضربة لازب لتكون سامعة لما لم تسمع ٠
وتعود عالمة بكل خفية فى العالمين فخرقها لم يرقع ٠

ولم يقتصر ابن سينا على هذا الشعر والتخيل ، بل أقام البراهين المنطقية والأدلة الفلسفية على حقيقة خلود الروح ٠

وتجدر الاشارة هنا الى أن جميع الأديان السماوية دعت على لسان رسلها الى الايمان بالبعث كعقيدة دافعة الى الخير ، لا تنفصل عن عقيدة الايمان بالله ٠

فنوح عليه السلام يقول لقومه : « **والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا** » (1)

وموسى عليه السلام يقول فى دعوته لفرعون وأتباعه : « **منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى** »(2)

وعيسى عليه السلام يقول وهو فى المهد : « **٠٠٠ والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا** » (3)

(1) سورة نوح : 17 ـ 18

(2) سورة طه : 55

(3) سورة مريم : 33

ومما يدل على ما أصاب التوراة من تحريف أنا لا نجد فيها شيئا عن البعث ويوم القيامة ٠ وربما كان الحديث عن ذلك لم يرق لليهود لطغيان المادة عليهم ، وشدة حرصهم على الحياة الدنيا فحذفوا من توراتهم كل ما عارض أهواءهم ٠ فى حين أن الديانة اليهودية فى أصلها تقرر حقيقة البعث والنشور والحساب كما ينبىء بذلك القرآن الكريم فى كثير من المناسبات كقوله تعالى :

« **أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى ٠ أعنده علم الغيب فهو يرى ٠ أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى ٠ وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وأن الى ربك المنتهى** » (1)

ولكن أسفار العهد القديم التى بين أيدينا الآن قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه ٠ ومن ثم لا نجد من فرق اليهود الشهيرة من يؤمن به على الوجه الذى يقرره الاسلام ٠ ففرقة الصدوقيين تنكر قيام الأموات ، وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين انما يحصلان فى حياتهم الدنيا ٠

وتذكر أناجيل المسيحيين أن هذه الفرقة حاولت أن تستدرج المسيح حتى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الآخر ، ولكنهم أخفقوا فى محاولتهم بعد ان بين لهم المسيح فساد وبطلان الأدلة التى يعتمدونها فى هذه القضية ، وكان مما قال لهم : « عجبا لكم ! كيف تنكرون قيامة الأموات ، مع أنكم تقرأون فى كتبكم أن الله قد قال : أنا اله ابراهيم واسحاق ويعقوب ، والله تعالى

(1) سورة النجم : 33 ـ 38

اله للأحياء ، أو لا يصح أن يكون الها للأموات ؟ فلما سمعوا منه ذلك بهتوا من حجته ، وسر الفريسيون لأنه أفحم الصدوقيين » (1)

وفرقة الفريسيين اليهودية تعتقد أن الصالحين من الأموات سيبعثون على هذه الارض ليشتركوا فى ملك المسيح الذى سيأتى فى آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ، ويدخلهم جميعا فى ديانة موسى . أى إن بعث هؤلاء سيحصل فى الحياة الدنيا فمهما يكن من خلاف بين الفرقتين فانهما تتفقان فى انكار اليوم الآخر (2) وقد ورد فى بعض فقرات التلمود ذكر للجنة والنار . ولكن فى صورة هى الى الأسطورة أقرب منها الى الحقيقة ومما جاء فى ذلك : « أن الجنة تأوى اليها الأرواح الزكية وأنه لايدخلها الا اليهود ، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت ملك الأسماك الذى يتسع حلقه لسمكة طولها ثلاثمائة فرسخ . والله تعالى يقضى الساعات الثلاث الأخيرة فى اللعب مع هذا الحوت . ومن حكمته سبحانه أنه حرمه من أنثاه حتى لا يتناسلا ، فتمتلىء الدنيا وحوشا تهلك من فيها . وتأتى على الحرث والنسل . ولهذا حبس الذكر بقوته الالهية ، وقتل الأنثى وملحها وحفظها لطعام المؤمنين فى الفردوس » (3)

ومثل هذا الهراء يتنافى وتنزيه الاله ، فلا يجوز قبوله بل يجب تكذيبه كما قال المعرى :

---

(1) انجيل متى . اصحاح : 22

(2) على عبد الواحد وافى . اليهودية واليهود : 46 — 47

(3) ابن جزم . الفصل فى الملل والاهواء والنحل . ج : 164/1

فقد كذبت على عيسى النصارى
كما كذبت على موسى اليهود (1)

وقد جاء فى كتاب « الحياة بعد الموت » وهو يتضمن الحوار الثانى الذى دار بين علماء المسيحية والاسلام واليهودية فى نطاق الميثاق العالمى للأديان وذلك فيما بين 7 و 8 جويلية سنة 1967 .

جاء فى قول الحبر : (Rabin Josey Eisenberg) بهذا الكتاب ما يفيد أن فكرة الحياة بعد الموت لم تصبح كجزء من العقيدة اليهودية بصفة رسمية الا فى القرن الثالث عشر ميلادى .

فهو يقول :

ورغم أن التوراة لم تتحدث عن الحياة الأخرى فانها جاءت لتنير عقولنا فى حياتنا الدنيا بما أثارته من قيم أخلاقية كثيرة .

ومنذ القرن الثالث عشر للميلاد دخلت هذه الفكرة فى الديانة اليهودية بعد أن تحدث عنها الحبر (ميمونيد Maimonide) فى كتبه ، واعتبرها جزءا من العقيدة اليهودية باعتبار أن مشكلة مصير الروح وحياتها بعد الموت هى فرصة لا بد أن تكون متاحة للاله ، كى يثيب الخير ويعاقب الشرير . ولما كان هذا الجزاء لا يوجد فى الحياة الدنيا ، فلا بد أن يوجد فى الحياة الأخرى .

---

(1) لزوم ما لا يلزم : ج : 247/1

فاليهود اليوم يعتقدون أنه توجد ثلاثة عوالم : عالم قبل الحياة ، وعالم فى حياتنا الدنيا ، وعالم بعد الحياة .

أما العالم المملوء حركة ونشاطا ، فهو عالمنا هذا . فالفرصة الهامة التى يتسنى للانسان أن يتمتع فيها . بحريته ، فانما هى فى هذا العالم ... فعلى الانسان أن يكون قويا أمام الاله حتى يمتلك الوجود ، لأن من لا يملك الحياة لا يمتلك الوجود ، ولأن طلبه الرحمة من الله ضعف منه لا يليق به . وحياتنا الراهنة هى حياة الاستحقاق ، لأن كرامة الانسان تظهر فيها جلية بحرية التصرف ، وبالتوبة وطلب الغفران . ثم نتحول الى عالم جديد، فنقطف ثمار ما زرعناه فى الدنيا ونكون فى ديمومة مستمرة ليس فيها أى تقدم أو تطور . أما قبل الحياة فلا كرامة للانسان ولا قيمة له » (1)

فيبدو أن فكرة الجزاء عن الأعمال فى الدنيا هى التى دفعت اليهود الى القول مؤخرا باليوم الآخر . ومع ذلك فهم يعتبرون أن الحياة التى تستحق العناية انما تكون فى الدنيا ، لأن الديمومة فى الآخرة ــ حسب زعمهم ــ جامدة مملة .

وليس من شك فى أن مثل هذا الاعتقاد يملى على صاحبه فكرة القوة واستخدامها للسيطرة على الحياة وبلوغ أهدافها . ومن هنا نجد من خلال فلسفتهم فى الحياة نوعا من التحدى حتى للاله منشىء الاكوان وخالق الحياة وواهب النعم ؛ ومن الاستخفاف بالحياة الأخرى التى تعتبر فى الديانتين الاسلامية والمسيحية هى منتهى الآمال ومطمح الأنظار .

---

(1) La survie après la mort : 140-141

فقضية البعث فى العهد القديم لا تتمثل فى معرفة : هل هناك بعث وحياة أخرى ؟ بمعنى : هل للوجود الانسانى استمرار بعد الموت ؟ ولكن القضية تتمثل فى أن الوجود بعد الموت هو بؤس وشقاء ، لا للمذنبين فقط ، بل للجميع . فمأساة الانسان وحيرته المضنية تجاه الموت عند اليهود ، ليس مردهما الخوف من الفناء لأن الفناء يمحو مشكلة المصير ، كما قال على بن أبى طالب :

ولو أنا إذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل حى (1)

ولكن مرد حيرتهم الى الفزع من استمرار حياة منقوصة بلا أمل ، هى فى الحقيقة موت .

ثم ان الذى لا يقبله المنطق الدينى بحال ، أن يعتبر طلب العفو والغفران من خالق الوجود ضعف للانسان !

انا لنجد فى القرآن والحديث وفى الأناجيل ما يدل على أن الفطرة السليمة فى شعور الانسان دوما بضعفه أمام قوة الله ، وبفقره أمام غناه ، وبذله أمام عزته ، وبحاجته الى رحمته . فالأنبياء ، وهم صفوة من قربه الله الى حظيرة قدسه ، وبرأهم من النقائص ، وعصمهم من الذنوب والآثام ، نراهم يتوجهون الى الله فى ضراعة واستكانة ، مؤملين رضاه ، راجين عفوه :

قال نوح : **« رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين »** (2)

---

(1) ديوان على بن أبى طالب : 64 (ط. بيروت 1327 هـ)

(2) سورة هود : 47 .

وقال موسى : « **ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء ٠ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين** » (1)

وقال خاتم الأنبياء مناجيا ربه : « **اللهم اليك اشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ٠ يا أرحم الراحمين ٠ أنت رب المستضعفين وأنت ربى ٠ إلى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته أمرى ٠ ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ٠٠** » (2)

وقال المسيح لتلاميذه : « **متى صليتم فقولوا : أبانا الذى فى السموات ؟ ليتقدس اسمك ! لتكن مشيئتك فى السماء وفى الأرض ! اغفر لنا خطايانا** » (3)

وليؤكد الخالق دوام الصلة بينه وبين أنبيائه كانت أجل الصفات التى ينعتهم بها هى صفة العبودية له سبحانه

« **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** » (4)

وهذه الصلة الالهية المبنية على ضعفهم أمام قوته سبحانه هى خير ما يستمدون منه القوة والثبات فى الحق ، والقدرة على مقاومة الصعاب ، والصبر على تحمل الأذى فى الدعوة ٠

---

(1) سورة الاعراف : 155

(2) رواه البخارى

(3) انجيل لوقا ٠ اصحاح : 11

(4) سورة ص : 29

وهذا الشعور هو الذى يهذب النفوس ، ويفجر ينابيع الخير ، ويرهف الحساسية ، ويغرس الرحمة التى تنسم ظلالها على المكروبين والمعذبين فى ساعات العسرة والضيق (1)

---

(1) التهامى نقرة : سيكولوجية القصة فى القرآن : 558

البعث في الديانة المسيحية

وفى الديانة المسيحية ما يدل فى وضوح على أن وراء حياة الانسان فى الدنيا حياة أخرى أبدية فى ملكوت الرب تتسم بالاستمرار والخلود لمن تخلصه أعماله الخيرة من حالة الموت • وأما الشر فانه يجلب لصاحبه الفساد بالموت لعدم أهليته للحياة فى الفردوس •

جاء فى كتاب « تجسد الكلمة » : « اذا حفظ الانسان النعمة واستمر صالحا استطاع أن يحتفظ بحياته فى الفردوس بلا حزن ولا ألم • أما اذا احتقر غيره ، ورفض التأمل فى الله ، ودبر الشر فقد استحق حكم الموت الذى أنذره به الرب • لأن تعديه للوصية أعاده الى حالته الطبيعية ، فتكون النتيجة الانحلال والبقاء فى حالة الموت والفساد » (1)

وقد أوردت الأناجيل أقوالا للمسيح فى التبشير بملكوت الله وفى الحساب يوم الدينونة • جاء فى انجيل متى : « أقول لكم : ان كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين » (2)

وجاء فى انجيل يوحنا : « أنا القيامة والحياة • فمن آمن بى فسيحيا وان مات » (3)

---

(1) تجسد الكلمة • تعريب : مرقس داود : 21 ـ 22
(2) اصحاح : 12
(3) اصحاح : 14

وجاء فى انجيل مرقس : « وان أعثرتك عينك فأقلعها وألقها عنك • فخير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى فى جهنم ، حيث دودها لا يموت ، والنار لا تطفأ » (1)

وجاء فى انجيل لوقا : « وسأله رئيس قائلا : أيها المعلم الصالح ! ماذا اعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا الا واحدا وهو الرب • أنت تعرف الوصايا : لا تزن • لا تقتل • لا تسرق • لا تشهد بالزور • أكرم أباك وأمك • فقال : هذه كلها حفظتها منذ حداثتى • فلما سمع ذلك قال له : يعوزك أيضا شىء • بع كل ما تملك ووزعه على الفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء • وتعال اتبعنى • فلما سمع ذلك حزن لأنه كان غنيا جدا • فلما رآه يسوع قد حزن قال : ما اعسر دخول ذوى الأموال الى ملكوت الله ! » (2)

وايمان المسيحيين بالحياة بعد الموت يعادل ايمانهم بالمسيح وبقدرته على احياء الموتى ، وهو من معجزاته كما جاء على لسانه فى القرآن : « •• **ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم • انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائرا باذن الله ، وأبرىء الاكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله** » (3)

وفى الأناجيل حكايات تعرض وقائع فى إحياءالمسيح للاموات • ومن ذلك مثلا ما ورد فى انجيل لوقا :

---

(1) إصحاح : 8
(2) اصحاح : 10
(3) سورة آل عمران : 49

« ••• فلما اقترب يسوع الى باب المدينة • إذا ميت محمول ، وهو الابن الوحيد لأمه الأرملة ، ومعها جمع كثير من المدينة • فلما رآها حن عليها ، وقال لها : لا تبكى • ثم تقدم ولمس النعش، فوقف الحاملون فقال : أيها الشاب ! لك أقول قم ! فجلس الميت ، وأخذ يتكلم • فدفعه الى أمه • فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله ••• » (1)

وللكاثوليك فلسفة مسيحية فى الحياة والموت على ضوء الوحى الذى جاء به المسيح فى خلود الروح :

يقول جان دانيال (Jean Daniéle) فى الحوار الذى جرى بينه وبين عالم مسلم وآخر يهودى :

« معنى الموت والحياة عندنا ، ليس هو المعنى المتعارف بيننا اليوم • فالعهد الجديد يعنى بالموت : حالة الانسان المنبوذ الذى تخلت عنه العناية الالهية ، فبقى لبؤسه وشقائه • وهذا هو موت الروح المحروم من رحمة السماء ، ومن القوة الالهية ، التى تقوى كيانه ، ويعنى بالحياة : حالة الانسان اذ تحف به العناية الالهية وتمده بالقوة • وبهذا الاعتبار لم يبق هناك فرق بين هذه الحياة وبين الحياة الاخرى • فكلتاهما موت بالنسبة لمن تخلى عن الاله فى الدنيا ، ففارقه بعدها ، وتركه فى الموت محبوسا • ولكن الأمل فى امكان الخروج من هذه الحياة مع التخلص من قبضة الموت والتحرر من سجنه لا يتأتى بمجهودنا الشخصى ، بل بفعل الخالق الذى ينزل الى عالم الأموات » (2)

---

(1) اصحاح : 7
(2) — La survie après la mort : 26-27

وفى هذا المعنى يقول جبران خليل جبران وهو مسيحى :

والموت فى الأرض لابن الأرض خاتمة
وللأثيرى فهو البدء والظفر
فالموت كالبحر ، من خفت عناصره
يجتازه ، وأخو الأثقال ينحدر (I)

فالموت المريع فى المسيحية : هو موت الروح والجسد معا ، موت الروح بسلب حياة الرحمة الالهية التى بها يصبح الانسان فوق الكائن الطبيعى ، وموت الجسم بخروجه عن حالته البيولوجية

فليس الموت اذن مفارقة الروح للجسد ، ولكنه الفراق بين الانسان والرب ، بتخلى العناية الالهية عنه جزاء ما ارتكب من شرور ، واقترف من آثام . ومن هنا يتضح الفرق فى المسيحية بين الأموات والأحياء ، سواء فى هذه الحياة ، أم فى الحياة الآخرة .

فهى تتفق مع الاسلام فى مبدا الخلود ، ولكنه يختلف عنها فى حقيقته ، وفى فكرة العدم بالموت بالنسبة الى الأشرار . فالكافر كما ورد فى القرآن يتمنى العدم حتى لا يرى ما يرى من أهوال : « **ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا** » (2)

ولو كان فى حالة عدم حقيقة لما جاز عقلا أن يتمنى ذلك . ومن ناحية أخرى فان هذا لا يتفق ومبدا الجزاء يوم الدين عن وعى كامل لما ارتكب الانسان فى الدنيا من خير او شر يستحق عليهما الثواب او العقاب . قال الله تعالى :

(I) المواكب : 44

(2) سورة النبا : الآية الاخيرة .

« **ويوم يعض الظالم على يديه يقول : يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا** » (1)

وهذا الوعى لا يتصور عندما يكون الانسان فى حالة عدم أو فساد بالموت ، وكيف يحس المعدوم بمصيره المؤلم وهو فى حالة فناء ؟

ويبدو أن محمد اقبال تأثر بمثل هذه الآراء التى انحدرت من المسيحية ولا شك .

فهو يقول فى كتابه (تجديد التفكير الدينى فى الاسلام) :

« ... وليست هناك أعمال تورث اللذة ، وأعمال تورث الألم ، بل هناك أعمال تكتب للنفس البقاء ، أو تكتب لها الفناء . فالعمل هو الذى يعد النفس للفناء ، أو يكيفها لحياة مستقبلة . ومبدأ العمل الذى يكتب للنفس البقاء هو احترامى للنفس فى وفى غيرى من الناس »

يعنى استقامة المرء فى نفسه فى علاقته بربه وفى صلاته بالناس .

ثم يقول : « وعلى هذا فالخلود لا نناله بوصفه حقا لنا ، وانما نبلغه بما نبذل من جهد شخصى ، والانسان مرشح له لا غير »

ولكن الذى قرره القرآن أن الخلود أمر حتمى للانسان . إما فى النعيم وإما فى الجحيم . « **فأما الذين شقوا ففى النار ، لهم**

(I) سورة الفرقان : 27 .

فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ٠ إن ربك فعال لما يريد ٠ وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ٠٠ » (1)

ويقول اقبال : « على أنه لا مفر للنفس من أن تكافح كفاحا موصولا حتى توفق الى التماسك ، والى الفوز بالبعث ٠ فالبعث اذن ليس حادثا يأتينا من خارج ، بل هو كمال لحركة الحياة فى داخل النفس » (2)

ولعل فكرة الخلود التى يؤمن بها اقبال انما تتمثل فى اتصال الحياة واستمرار الانسان فيها ليتلقى على الدوام نورا جديدا من ربه ٠ أما أبدية الجحيم فى الآخرة ، فينفيها اقبال ، ويعتبرها حقبة من الزمن لتقويم النفس وتزكيتها ٠ لذلك لا يصح أن يطلق عليها وصف الخلود : « وعلى هذا فالنار كما يصورها القرآن ليست هاوية من عذاب مقيم يسلطه اله منتقم ، بل هى تجربة للتقويم ، قد تجعل النفس القاسية المتحجرة تحس مرة أخرى بنفحات حية من رضوان الله ، وليست الجنة كذلك اجازة أو عطلة ٠ فالحياة واحدة متصلة ٠ والانسان يسير دائما قدما يتلقى على الدوام نورا جديدا من الحق غير المتناهى » (3)

وهذا الرأى فيما يبدو مخالف لما نعلمه فى القرآن من أن دار الابتلاء والاختبار والتجربة انما هى الدنيا ٠ أما الآخرة فهى دار جزاء فقط ٠ فكيف تكون التجربة للتقويم ؟ وقد نعود هنا الى هذه القضية فى مناسبة أخرى بأكثر تحليل ٠

---

(1) سورة هود : 106 ـ 107

(2) تجديد الفكر الدينى فى الاسلام : 137 ـ 138

(3) المصدر السابق : 141

البعث ووثنية العرب

ومن الغريب أن عقيدة البعث فى الجزيرة العربية لم تعرف عند العرب قبل الاسلام إلا لدى أفراد قلائل رغم وجود بعض المسيحيين فيها ٠ لذلك قابلوها بالانكار الشديد ، وكانت مثارا للغرابة ، ومدعاة الى الجدل مثل عقيدة التوحيد ٠ ولعل ذلك راجع الى أن العربى مادى بطبعه ينظر الى الأشياء نظرة واقعية وليس لديه مجال للخيال ، فلا يسبح خياله فى عالم جديد ينتقى منه معنى جديدا ، أو فى حياة خير من حياته الحسية ، ولكن هذا لا ينفى عنه ذكاءه الحاد ، ودقة نظرته المادية الى الأشياء ، كما لا ينفى وجود بعض الأفكار حول فلسفة الحياة والموت ، والقيم الأخلاقية ٠

ففى القرآن ما يفيد أنه كان فى بلاد العرب ملل مختلفة ولأصحابها شيء من التفكير فيما يتصل بالبعث ٠ فمنهم من كان لا يرى علة لوجود العالم سوى الطبع المحيى والدهر المفنى ٠ ويسميهم الشهرستانى : « معطلة العرب » إذ أنكرت عقولهم الخالق والبعث ، فكأنهم عطلوها ولم ينتفعوا بها ، أولئك هم الذين ينقل عنهم القرآن : « **وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر ٠ وما لهم بذلك من علم ٠ ان هم الا يظنون** » (1)

قال شداد بن الأسود الليثى فى قصيد يرثى به مشركى قريش يوم بدر ، وكان أسلم ثم ارتد :

---

(1) الجاثية : 24

يخبرنا الرسول بأن سنحيا   فكيف حياة أصداء وهام ؟ (1)

وفى هذا المعنى يقول شاعر آخر :

حياة ثم موت ثم بعث   حديث خرافة يا أم عمرو (2)

وقالوا بلسان الحال والمقال :

« لا نبيع ذرة منقودة ، بدرة موعودة »

« خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به »

« أناس يقضون عيش النعيم ونحن نحال على الآخرة
فان لم يكن مثلما يزعمون فتلك اذن كرة خاسرة »

أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال :

جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففتته ، وقال فى سخرية :

يا محمد ! أيبعث هذا بعد ما أرم ؟ قال : نعم ! يبعث الله هذا ، ثم يميتك ثم يحييك ، ثم يدخلك نار جهنم . فنزلت الآيات (3):

« أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم » (4)

(1) الشهرستانى . الملل والنحل : ج : 2/433
(2) بطرس البستانى . دائرة المعارف : ج : 7/357
(3) السيوطى . لباب النقول فى أسباب النزول : 187
(4) سورة يس : 77 – 79 .

لقد اقتضت الحكمة الأزلية أن يبتلى الانسان بزينة الحياة الدنيا وبالهوى ، فكان بذلك عرضة للفسوق والعصيان ، والغفلة والنسيان ، والاعراض عن الحق ، فأرسل الله اليه رسله وأنزل كتبه وبين له مواقع رضاه وغضبه وأن النعيم لا يدرك بالنعيم ، وأن أعظم اللذات محجوب بأنواع المكاره . فلم تقو عقول الكثيرين على ايثار الآجل المنتظر بعد فناء الدنيا على هذا العاجل الملموس ، بل ان خيالهم لم يتسع لتصور نشر جديد بعد ظلمة القبر وفناء الجسد ، وأننا سنموت كما ننام ، ونبعث كما نستيقظ ، ولا سيما العرب الذين لم يكلفوا قط بشريعة ، لوجودهم فى فترة من الرسل بين جدهم اسماعيل ومحمد عليهما السلام ، وهى مدة تزيد على ثلاثة آلاف سنة (1)

قال الله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : « **لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك** » (2)

وبتعاقب الدهور وتأثير الوراثة تأصلت فيهم عقيدة الشرك والوثنية ، حتى صار من العجب أن يقال لهم : الله واحد .

« **اجعل الآلهة الها واحدا . ان هذا لشىء عجاب** » (3)

وفى الانسان من العواطف والمشاعر ما ينزع الى الابقاء على القديم .

« وروح الانسان يعوقها فى سيرها قدما قوى يظهر أنها تعمل فى الاتجاه المضاد . وما هذا الا ضرب من القول بأن الحياة تتحرك ، وهى تحمل على عاتقها أثقال ماضيها » (1)

(1) محمد شكرى الآلوسى . بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : 109
(2) سورة القصص : 45
(3) سورة ص : 4
(4) محمد اقبال . تجديد التفكير الدينى فى الاسلام : 191

وقد أثبت علماء النفس أن فى الانسان حياة نفسية مظلمة مؤلفة من النزعات الخفية والأهواء القديمة ، والأحلام المكبوتة ، والعادات الموروثة • فكان لا بد للقرآن من أن يقول كلمته الفاصلة فيما كان يختلف الناس فيه ، وأن يبين الحق فيما عليه الناس من معتقدات باطلة ، وأن يجادل المخالفين فيما أراد أن يقرر من اعتقادات جديدة كعقيدة البعث ، وما يتصل بها من حقائق غيبية يترتب على معرفتها والايمان بها مصلحة عظمى للناس هى من صميم رسالة الاسلام ، اذ بها يعرف كل انسان أنه محاسب على ما يعمل من خير أو شر ، وأنه لم يخلق عبثا ، ولم يترك سدى • وبهذا يتجه فى حياته اتجاها قويما ، ويعلم أنه اذا خالف هذا الاتجاه ، فهو معرض لأهوال شديدة وخسران مبين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم •

ولعل من العوامل التى أدت بالوثنيين العرب الى انكار البعث واستبعاده أنه مخالف للمألوف • فما سمع الناس قط أن ميتا قام من رمسه ، بعد أن أصابه الانحلال والبلى ، وأن تفكيرهم السطحى الساذج لم يشأ أن يتصور الفائدة من البعث وحشر الناس • **« زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا • قل : بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير »** (1)

« واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا : ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين • قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (2)

---

(1) سورة التغابن : 7

(2) سورة الجاثية : 26

فى حين أن هؤلاء الجاحدين ينامون ، ويضرب الله على آذانهم فترة من الزمن يكونون فيها كالموتى ثم يبعثون • وذلك هو المعنى الذى أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه حين أمر أن يصدع بدعوة الحق بعد أن كان مستخفيا بها • فقال : « والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون » (1)

وقد نهى القرآن المؤمنين عن موالاة اليهود والاسرار إليهم بما يضر نشر الدعوة الاسلامية ، لانهم يئسوا من ثواب الآخرة بتكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الحق ، وانقطع أملهم من نعيم الآخرة كما انقطع أمل الكافرين من بعث موتاهم ، لأنهم لا يؤمنون ببعث ولا نشور • قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » (2)

---

(1) رواه البخارى

(2) سورة الممتحنة : 13

البعث في القرآن والحديث

لذلك استعمل القرآن فى الرد على منكرى البعث على اختلاف اتجاهاتهم ونزعاتهم شتى الوسائل والطرق ، ومختلف الأساليب والبراهين لاقناعهم بأن الساعة حق ، وأن الله يبعث من فى القبور ، سيما وفيهم من المعاندين المفتونين باللجاجة والمراء من أقسموا جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ، كما حكى ذلك القرآن (1)

وتقوم عقيدة البعث فى القرآن على أصول وحقائق لا بد من اعتبارها فى التصور الاسلامى الصحيح لهذه العقيدة ٠ وهى :

1) للوجود غاية :

فالقرآن الكريم يوجه الأنظار الى أن الله لم يخلق هذا الكون باطلا ولغير هدف ، لأن ذلك يتنافى مع كماله وحكمته ٠ **« وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ٠ ما خلقناهما الا بالحق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون »** (2)

كما أنه سبحانه لم يخلق الانسان عبثا وهو الذى نفخ فيه من روحه ، واستخلفه فى الأرض وفضله وكرمه ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض ،

---

(1) سورة النحل : 38

(2) سورة الدخان : 38 — 39

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون » (1)

فقد بين الخالق أن ايكال الخلق الى أنفسهم دون رجوع الى مالكهم هو ضرب من العبث تعالى الله عنه وتنزه ٠

ولكدح الانسان جدوى :

« وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » (2)

وللحياة معقولية : لأنها صدرت عن ارادة الله الحق المنزه عن العبث والفوضى ٠

« أيحسب الانسان أن يترك سدى » (3)

وحرية الانسان عميقة فى كيانه ، لكنها ليست حرية الفوضى الخلقية التى تنتهى دائما بتهديم الانسان ، وتمزيق علائقه مع الوجود الخارجى من حوله :

قال تعالى فى حديث قدسى : « يا عبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها ٠ فمن وجد خيرا فليحمد الله عليه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » (4)

والحق الذى خلق الله به السموات والأرض يأبى الانحراف الفكرى او النفسى او الاخلاقى ، ويتنافى مع الفلسفة الوجودية

---

(1) سورة المؤمنين : 115 ـ 116

(2) سورة النجم : 39 ـ 41

(3) سورة القيامة : 36

(4) رواه مسلم

الملحدة ٠ فليس ثمت عبث ، كما يرى كامو (Camus) ، وليس ثمت لامعقولية للحياة والوجود كما يرى كافكا(Kafka)وليس ثمت حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كما يرى سارتر (Sartre) ، ليس ثمت تناقضات نفسية لا نهاية لها تنتهى دائما بالضياع كما يرى دستوفسكى (Dostoïewski) ٠ ذلك أن الاسلام يستمد تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف ، ومن الاستقامة لا الانحراف ، ومن المعرفة لا الضياع (1)

والوجودية بتعمقها فى تجارب الانسان النفسية فكرا وأدبا وفنا وضعت يده على مآسيه فى أعمق أعماقها ، فى صميم الانسان ذاته ٠ ولكن أشد ما يؤخذ عليها أنها وقفت عند هذا الحد ٠ وأكثر من ذلك ، أنها راحت تجسد مآسى الانسان ويأسه وعذابه، وكأنها (قيم) ثابتة فى نواميس الكون ، كتب عليه أن يعانيها ، وأن يتحمل أعباءها مرغما ، كما تحمل « سيزيف » من قبل حمل الصخرة الى قمة الجبل لتنهار دائما ٠ فيبدأ حملها من جديد ٠ ومن ثم راحت ـ هذه الوجودية ـ تعلن حملاتها الوهمية ضد القوى التى ظلمت الانسان بعبث الوجود ولا جدوى الحياة ، بقلقها ولا معقوليتها ٠ وما هو ـ فى الحقيقة ـ عبث القدر والطبيعة ٠ وانما هو عبث الطواغيت الذين فرضوا على الانسان مبادئهم المتهافتة ، وعبث الانسان نفسه الذى خرج عن طريق الله الواحد واستنام على المأساة (2)

وارتباط الوجود الانسانى بمصيره هو النقطة التى تفترق فيها الطرق بين الناس ، لا فى نظرتهم الى الحياة وفلسفتهم فيها

---

(1) عماد الدين خليل ٠ فى النقد الاسلامى المعاصر : 42 ٠

(2) المصدر السابق : 49 ٠

فحسب ، بل فى أخلاقهم ، ونمط سلوكهم ومدى ايمانهم •
فالايمان بمصير الانسان بعد الموت يجعل لحياته غاية سامية وهدفا اعلى • وهذه الغاية هى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل • ولا يرغب فى الخير ويصد عن الشر مثل الوازع النفسى الذى يقوى بالتذكير ، والتفنن فى التصوير ، وضرب الأمثال ، حتى لا يضل الانسان عن الحق ، أو تتعثر به الخطى فى طريقه ، وذلك هو منهج القرآن •

وكم فى القرآن الكريم من آيات تقيم الأدلة والبراهين على أن الكون ليس مهملا كما يزعم ملاحدة الوجوديين ، بل وراءه عقل قام بخلقه ويقوم بتدبيره • انه لا يمكن أن يتصور العقل نظاما معقدا كنظام الكون بدون منظم ، أو يتصور وجود نظام وروح فى عملية مادية عمياء حدثت اتفاقا ولغير هدف •

فالكون متوازن ومتناسب الى حد لا يمكن تصوره • ورغم وجود هذه الحقيقة الصارخة ، فان أصحاب النزعات المادية من وجوديين وإباحيين وماركسيين يبنون مذاهبهم الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية على أن الانسان نبات أرضى لا رب له ، ولا حساب ينتظره (1) انما الحياة فى نظرهم احساس عارض يبقى فى كتلة من اللحم والعظم لبضع سنين ، ثم يتلاشى الى الأبد •

قال عالم الطبيعة الامريكى (جورج ايرل ديفيس J. Davis) :
لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه ، فان معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق ، وفى هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو

(1) محمد الغزالى • ركائز الايمان بين العقل والقلب : 87

الاله • وهكذا ننتهى الى التسليم بوجود « الاله » ، ولكن إلهنا سوف يكون عجيبا ، الها غيبيا وماديا فى آن واحد ! اننى أفضل أن أومن بذلك الاله الذى خلق العالم المادى ، وهو ليس بجزء من هذا الكون ، بل هو حاكمه ومديره ومدبره بدلا من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات (1)

ان الفكر العلمانى لا يستطيع الرد على أخطاء الفلسفة الوجودية اذا كان هو ذاته يقع فى تلك الأخطاء نفسها ، مثل : الازدواج الداخلى فى كيان الانسان ، والشك فى البعث والخلود •

أما منهج القرآن فى هذه الفكرة ، فمبناه أن الله خلق الخلق بالحق • ومعنى ذلك : أن مالا غاية له ، وما لا هدف من ورائه لا يكون حقا ، وانما يكون لهوا وعبثا • فلا تتحقق الحكمة الا حيث يكون الخلق ابتلاء واختبارا يعقبه بعث للحساب والجزاء « **هو الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** » (2)

تأمل قوله تعالى : « **ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** » (3)

فستلاحظ أن اللام الاولى (ولله) تفيد معنى الملكية ، وأن اللام الثانية (ليجزى) تفيد معنى التعليل او الغائية •

(1) The Evidence - of God. P. 71

(2) سورة الملك : 3

(3) سورة النجم : 31

فارتباط الملكية بالجزاء ، وربط هذه الغاية بكون العالم مملوكا لله وحده ينبنى عن فكرة الرد على الذين ينكرون الألوهية ، ويرفضون عقيدة البعث ، ويريدون أن يعيشوا مبتورين عن الأصل الذى انبثقوا منه ، مخلدين الى الأرض التى درجوا عليها ، غير مفكرين فى آخرة ، ولا فى ثواب أو عقاب •

فالايمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول ، والايمان بالبعث يحقق المعرفة بالمصير الذى ينتهى اليه هذا الوجود • وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للانسان أن يحدد هدفه ، ويرسم غايته ، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله الى الهدف ويبلغ به الغاية •

ومتى فقد الانسان هذه المعرفة ، فان حياته سوف تبقى بلا هدف ولا غاية • وحينئذ يفقد الانسان سموه الروحى ، ويعيش كما تعيش الأنعام تسيرها غرائزها •

وهذا هو الانحطاط الروحى المدمر لشخصية الانسان ، والمنافى للحكمة الالهية العليا من هذا الوجود •

ولعل من أفصح ما يعبر عن هذه الحقيقة ما جاء على لسان حكيم:

ولو كان لا يجزى مسيىء بفعله
ولا محسن ضاعت أمور البرية
وما كان فى الاحياء والموت حكمة
وكان محالا حكم كل شريعة
أيحسن أن تبنى قصور مشيدة
بأحسن أوضاع وأجمل بنية ؟

وتهدم عدما لا لمعنى ، وإنه
ليقبح هذا فى العقول السليمة
وذلك شىء فعله عبث وما
يدبر هذا الكون بالعبثية
فلم يبق الا أن يدبر أمره
حليم محيط العلم عدل الحكومة (1)

2) للعالم نهاية :

ومن المسلمات التى لا بد من اعتبارها فى عقيدة البعث الاسلامية فناء هذه الدنيا ، وانتفاء أزلية هذا العالم ، ذلك أن بعض الفلاسفة القدماء ممن لم يساعدهم العلم فى عصرهم على معرفة بعض الحقائق ، ذهبوا الى ان العالم سيبقى على صورته الحالية دون فناء أو زوال • وحجتهم فى ذلك أن الشمس ـ رغم عمرها المديد ـ لم يطرأ عليها أى نقص او ذبول • ولكن العلم الحديث أفاد أنه حدثت عدة انفجارات على سطح الشمس وفى مساحات كبيرة • ومعنى ذلك أن فى جرمها تآكلا •

ويؤكد علماء الفلك أنه لا بد وطبقا لقانون دوران الأجرام السماوية أن يقترب القمر من الأرض حتى ينشق من شدة الجاذبية أو يتمدد سطح الشمس الخارجى الى القمر فتختل المجموعة الشمسية كلها •

(1) أبو بكر عبد الرازق ـ • النفحات الغزالية : 210 •

قال الله تعالى : « **فاذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ : أين المفر ؟** » (1)

ثم ان قانون الديناميكية الحرارية يثبت أن الحرارة ليست دائمة الى الأبد وأن يوم انتهائها سيأتى حتما ، والكون يتجه الى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة • ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيميائية أو طبيعية ، وذلك بحكم الانتقال الحرارى المستمر من الأجسام الحارة الى الأجسام الباردة ، ولا يمكن ان يحدث العكس بقوة ذاتية ، بحيث تعود الحرارة وترتد من الأجسام الباردة الى الأجسام الحارة وعندئذ تقف حركة الحياة وموت الأحياء (2)

ثم ان الزلازل تجتاح من حين لآخر المدن والأقطار ، فتبيد عشرات الآلاف من البشر ، وتنبئنا عن قيامة كبرى سوف تفاجىء البشرية على غرة منهم ، وتقيم لنا دليلا ناطقا على أن خالق الأرض قادر على تدميرها • قال تعالى : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم • ان زلزلة الساعة شىء عظيم** » (3)

ومن ناحية أخرى فان الكون فضاء لا حدود له تدور فيه نيران هائلة لا حصر لها وهى السيارات والنجوم • ومثالها كملايين الخذاريف التى تدور على سطح معين بأقصى سرعة يمكن تخيلها• وهذا الدوران يمكن أن يتحول فى يوم ما الى صدام عظيم لا يمكن تصوره • فدراسة علم الفلك تؤكد إمكان اصطدام الأجرام

(1) سورة القيامة : 7 ـ 10

(2) انظر : المعاد : لمحمد حسن آل ياسين : 50 ـ 53

(3) سورة الحج : 1 ـ 4 •

السماوية ، وتثبت أن الغريب حقا هو عدم توقع هذا الصدام • هذا ايلواقع هو بعينه ما نسميه (القيامة) (1)

قال تعالى : « **اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت** » (2)

بهذا يكون فناء العالم او انعدام الحياة ممكنا كل الامكان ، بل محتما وقطعيا فى المفهوم العلمى المعاصر •

ان هذه الساعة لا مفر منها ، بل ستأتى حينما تبلغ الأرض زينتها وزخرفها ويظن الانسان ـ غرورا ـ أنه قادر على كل شىء ، بما يملك من زمام الأمور ، وبمابلغه من علوم :

« **انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس** » (3)

ولما كان المعاد هو عودة الحياة الى كل الناس بعد الموت لغرض الحساب والمحاكمة ، ثم الثواب أو العقاب بحسب نتائج هذه المحاكمة ، فانه لا بد أن يسبقه فناء العالم ، فيموت كل من فيه من الأحياء وتبدل الأرض والسموات ، ثم ينشىء الله النشأة الآخرة • وبذلك يبدأ اليوم الآخر :

(1) انظر : الاسلام يتحدى • لوحيد الدين خان : 82 ـ 83 •

(2) سورة الانفطار : 1 ـ 5

(3) سورة يونس : 24

« يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار » (1)

3) الموت انتقال لا فناء :

مفهوم الموت فى العقيدة الاسلامية انتقال من عالم الى عالم لا يقل فيه ادراك المرء لحقائق الوجود ، ولا ينقص احساسه بها ، بل قد يتبلور ويزداد . فالموت ليس فناء ولا شبه فناء ، بل هو كنومة طويلة .

كما ان النوم الذى نعرفه وفاة قصيرة . وقد جعل القرآن النوم قسيما للموت ، وجعل الحالتين أعراضا للنفس لا تتأثر الروح بها ، فقال جل ثناؤه : **« الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى الى أجل مسمى . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** (2)

وقال تعالى : **« وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعلمون »** (3)

ويقرب من هذا المعنى قول المعرى :

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد .

بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الحياة مناما ،

(1) سورة ابراهيم : 48
(2) سورة الزمر : 42
(3) سورة الانعام : 60

والموت يقظة فقال : « الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا »(1) وذلك لأن الحقيقة تنكشف عند الموت .

وفى المعنى قال الشاعر :

فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى

فالموت بهذا الاعتبار طور من أطوار الحى كالطفولة والشيخوخة إلا أن هذا الطور يمتاز بأن الروح فيه أقوى إدراكا وأصدق حسا (2)

وفى التصور الاسلامى شبهوا الموت برجل نام ، فرأى فى منامه ما يحب أو ما يكره ، فبينما هو كذلك انتبه .

ومثلوا الدنيا بالمنام ، والعيش فيها بالحلم ، والموت باليقظة ، كما مثلوها بمزرعة والعمل فيها بالبذر ، والحصاد بالمعاد .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو أن الدنيا من أولها الى آخرها أوتيها رجل ثم جاءه الموت لكان بمنزلة من رأى فى منامه ما يسره ، ثم استيقظ فاذا ليس فى يده شيء (3)

ولكن ليست حياة الأبرار وموتهم كحياة الفجار وموتهم :

« أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » (4)

(1) رواه أحمد
(2) انظر عقيدة المسلم . لمحمد الغزالى : 185
(3) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين : ج 3/93
(4) سورة الجاثية : 21

ليس الموت ختاما لمعنى الحياة ، وابتداء لحالة أخرى لا شعور فيها ولا احساس معها ، ينال الانسان فيها ما ينال الدواب تحت أكوام التراب ، وانما هو فى العقيدة الاسلامية مرحلة نتحول عندها • وهذا التحول لا ينتقص شيئا من مقومات الشخصية الانسانية كما ان الانسان على الارض هو هو الانسان فى طور انعدام الوزن الذى سجله رواد الفضاء أخيرا (1)

ولعل من أبلغ الشعراء الذين عبروا عن حقيقة الموت فى التصور الاسلامى أبا العلاء المعرى حين قال :

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاذ
انما ينقلون من دار أعمال الى دار شقوة أرشاد

وعباس محمود العقاد حين قال :

أرانى على الحالتين روحا وبنية
أحس بأن الموت ليس بمفقدى
فان كنت ذا جسم ذوى قبل مصرعى
وان كنت ذا روح ، فروحى مخلدى (2)

ولكن الماديين الذين يؤمنون بجسد لا روح معه ، ودنيا لا آخرة بعدها هم مبتورو الحس ، مشوهو البصيرة ، وفكرتهم عن الحياة تهوى بقيمة البشر الى الحضيض •

أكل شهى ، ولباس فخم ، وقصر شاهق ، وليال فى السمر والمرح واللهو ، ثم يختم الكيان الانسانى كله بما فيه من ذكاء

---

(1) انظر ركائز الايمان • لمحمد الغزالى : 73 — 75 •
(2) بعد الاعاصير : 23

وطموح فى حفرة مظلمة هى نهايته الأخيرة لا يفترق عن أى دابة • ألا ما أهون الوجود وأخسه لو كان محكوما بهذا الاطار الوضيع ! كما قال الرافعى :

ولو لم يكن الا الوجود وشأنه
لهانت شؤون عندنا وشؤون
ولكنها الروح ، تداولت الورى
ولم يدن منها للظنون يقين (1)

أو كما قال على محمود طه :

أيصبح الانسان هذا الرميم
والجيفة الملقاة نهب التراب ؟
أيستحيل الكون هذا الهشيم
والظلمة الجائم فيها الخراب ؟ (2)

ان الفجيعة الكبرى يوم يودع الحياة الجاحدون للقاء ربهم فاذا هم بعد الموت يعرفون كل شيء ، ويدركون أنهم كانوا فى ضلال بعيد :

« وبدا لهم سيئات ما عملوا ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون • وقيل : اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ، ومأواكم النار وما لكم من ناصرين » (3)

---

(1) ديوان الرافعى : 33
(2) الملاح التائه : 92
(8) سورة الجاثية : 33 — 34 •

ولو تصور الذين يقدمون على الانتحار أى حياة يصيرون اليها لفكروا طويلا قبل اقدامهم على هذا الجرم الفظيع ؟ انهم يريدون أن يفروا من الشعور بالضيق ، ومن مواجهة النتائج المحزنة الى عالم يحسبونه فناء خاليا من الشعور ، ومن رؤية العواقب الأليمة ، وما دروا أن قوام العالم الجديد الذى يقتحمون أسواره هو الاحساس المضاعف ، والادراك العميق ، والنظر الحاد ، ومجابهة النتائج وجها لوجه •

« لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (1)

روى أنس بن مالك عن أبى طلحة أن النبىء صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فى قليب بدر وجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان بن فلان ، يا فلان بن فلان ! أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله • فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فقال عمر : يا رسول الله ! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » (2)

وكان لهذه العقيدة التى غرسها الاسلام فى قلوب أتباعه عن الموت صداها البعيد باعتبار أن ما يعرو الجسد من فساد لأجهزته لا يؤثر فى حقيقة الروح ولا فى كيان الانسان المعنوى •

---

(1) سورة ق : 22

(2) رواه البخارى •

ولعل هذه الأبيات التى تنسب الى السهروردى تعكس هذا الشعور الاسلامى حول الموت ومفهومه :

قل لأصحاب رأونى ميتا   فبكونى اذ رأونى حزنا
لا تظنونى بأنى ميت   ليس هذا الميت والله أنا
أنا عصفور وهذا قفصى   طرت عنه ، فتخلى رهنا
فاخلعوا الأنفس عن أجسادها   فترون الحق حقا بينا
لا ترعكم سكرة الموت فما   هى الا بانتقال من هنا

واذا كان الموت رحلة من عالم الى آخر فليس بالأمر الهين على الانسان • اذ المسافة بين طبيعة الموت وطبيعة الحياة مسافة هائلة تدير الرؤوس ، فللموت سكرات وفيه أهوال • فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا الموت ، فان هول المطلع شديد ، وان من السعادة ان يطول عمر العبد ويرزقه الله الانابة » (1)

وليس بالأمر اليسير الهين أن يجابه المرء مصيره الأبدى فى لحظة حاسمة فيعرف قبل ان يفارق الحياة مقعده من الجنة أم من النار كما ورد فى الحديث •

ولقد عجبت مما كتب بعضهم عن الموت تحت عنوان : (لا موت ولا موتى ، ولكن حياة وأحياء) عجبت من حديثه فى هذا المقال حديث الواثق المستيقن ، وكأنه يعتمد فى ذلك نصوصا لا مجال للشك فى صحتها والطعن فيها ، أو كأنه يعتمد تجربة عرفها ومارسها ! فهو يقول :

---

(1) رواه أحمد

« يخشى الناس الموت ، ويفرون من ذكره وممن يذكره ٠ فان أكرهوا على أن يسمعوا حديثا عنه انقبضوا وغشيتهم الرهبة والقلق ٠ وهم لو علموا حقيقتين عنه ما فعلوا هذا :

أولهما : أن لحظة خروج الروح من الجسد وانتقالها من عالمها الأول الى عالمها الثانى لحظة هينة رقيقة يسيرة لا عسر فيها ولا مشقة » ان هذا قد يكون ، ولكن ليس دائما ٠ والقرآن فى كل الأحوال لم يهون من شأن الموت ، بل عبر عن لحظة الفزع بسكرة الموت ٠ قال تعالى :

« وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » (I)

روى البخارى وغيره عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض موته كان بين يديه ركوة بها ماء ٠ فجعل يدخل يده فيها ويمسح بها وجهه ويقول : « لا اله الا الله ٠ ان للموت سكرات » وكانت عائشة تقول : ما أغبط أحدا يهون موته بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فكيف حالة الكفار والعصاة عند النزع ؟ لا شك أن نذر العقاب تواجه الفساق والظلمة فى تلك الساعة الحرجة ٠ فها هو القرآن يصور لنا هذا المشهد المفزع الرهيب ! الظالمون فى غمرات الموت ٠ ولفظ « غمرات » يلقى ظله المكروب ٠ والملائكة لا يمهلونهم ولا يدعونهم فى هذه الغمرات فهم يزعجونهم بطلب أرواحهم ٠ « أخرجوا أنفسكم » وآجالهم لا تستأخر ولا تستقدم

(I) سورة ق : I9

ولكن هذا الازعاج من الملائكة فى صورة الأيدى المبسوطة التى تستعجل تسلم الروح ، لتسليمها الى ما ينتظرها من عذاب (I) يلقى ظلاله الكئيبة ٠ قال تعالى :

« ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم ، أخرجوا أنفسكم ٠ اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون ٠ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ٠ وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ٠ لقد تقطع بينكم ، وضل عنكم ما كنتم تزعمون » (2)

وكذلك يكون إخراج الذين ظلموا أنفسهم فى ساعة النزع ٠ وما ظلمهم أنفسهم الا أنهم استكانوا للظلم يسلط عليهم ٠ إنهم مع عجزهم عن دفعه آثروا احتمال الهوان فى أرضهم على الهجرة الى مكان آخر يصونون فيه كرامتهم ودينهم وعزتهم ٠ فهؤلاء تسألهم الملائكة فى تلك الساعة الحرجة ، فيعتذرون بأعذار لا تقبل . فما أسوء حالهم وهم يعانون ألم النفس ولم الجسد !

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض ٠ قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » (3)

(I) سيد قطب : فى ظلال القرآن ٠ ج ٠ 7/88

(2) سورة الأنعام : 93 — 94

(3) سورة النساء : 97

فانظر هؤلاء المأخوذين كيف يكون حالهم من الخجل والحياء والتحسر والندم والخوف من الله أن يلقوه بصحائف سود وقد انكشف لهم بالموت ما لم يكن منكشفا لهم فى الحياة لزوال العوائق والشواغل . (فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا ، المطمئن اليها عند موته ، نعوذ بالله منه ، فان الخزى والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما . فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها أولوا البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة) (1)

ثم يستمر صاحب المقال فى التهوين من أمر الموت فيقول عن الحقيقة الثانية :

« وثانيتهما : أن الحياة السماوية الثانية حياة مليئة بصنوف من رحمة الله . وكريم عطائه مما يجعلها أحب الى الانسان من حياته الأرضية الأولى »

ولكن لا يصح أن يحمل هذا على اطلاقه فيشمل كل أصناف الخلق دون ميز بين مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، ومطيع وعاص . ألم يستعذ رسول الله صلى الله عليه فيما استعاذ من فتنة الممات ؟ ألم يرد فى القرآن على لسان الكافرين ؟ :

(حتى اذا جاء أحدهم الموت قال : رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت) (2)

(1) أبو حامد الغزالى : احياء علوم الدين . ج . 4/518
(2) سورة « المؤمنون » : 99

« ـ روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فقلت : يا نبى الله ! أكراهية الموت ؟ فكلنا يكره الموت . قال : ليس ذلك ، ولكن المؤمن اذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب لقاءه ، وان الكافر اذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه) (1)

واذن فليس الخوف من الموت مجرد وهم كما يقول صاحب المقال :

« والوهم الذى ساد الناس ضد الموت نسج خيوطه الخيال على مر العصور ، وجسمه الخوف من المجهول القادم . وكل مجهول رهيب . على أن كثيرين من الناس حضروا وفاة أقاربهم ، فلم يروا شيئا من ذلك العسر المزعوم ، بل رأوهم يغمضون أعينهم غمضتها الأخيرة فى هدوء وراحة وسكينة ، بل ربما تم ذلك خلال بسمات تعلو شفاههم ، واشراقة تفيض على وجوههم .

والذين يعانون شيئا من الألم عند الموت هم الذين تجيئهم آجالهم وهم مرضى . فما يصادفهم من عناء ، فانما مرده المرض وظروفه وتقلباته . وكل ذلك يضع له الموت حدا اذا كان المرض قاصرا على البدن ولم تتأثر به الروح .

وهناك من الناس من يتفادون ذلك بحقنة من الحقن المسكنة أو المخدرة يعطيها لهم الطبيب بعد اليأس التام من الشفاء عند دنو

(1) رواه البخارى ومسلم .

الموت ، فيموتون ولا يشعرون • يموتون كما يموت غير المريض اذا حانت ساعته ، فى غير احساس بألم ما ، كأنهم يسبحون فى حلم ممتع • وسوف يجيىء وقت ينتشر فيه تناول الحقن التى تتناولها اليوم خاصة من البشر أو خاصة من خاصتهم تحت إشراف أطبائهم ، وبعلمهم أو علم أهليهم ورغبتهم » (1)

ويبدو لى هنا أن الكاتب وهو يلح على تعميم الاستعمال لهذه الحقن هو فى أشد الخوف من الموت ، وان كان يتظاهر بخلاف ذلك ولعله كان متأثرا بما تقوله الروحية الحديثة التى نقل عنها فى موضع آخر من من الكتاب ما يلى :

« وتقول : ان الخوف من الموت سوف يتناقص ويتلاشى من الناس عند انتشار الحقائق عنه ، وذيوع الثقافة الروحية ، وهى نعمة على البشرية ، ورحمة الهية » (2)

4) القبر أول منازل الآخرة :

صح فى الخبر أن القبر أول منزلة من منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه ، فما بعده أيسر منه • وان لم ينج منه فما بعده أشد •

فقد يكون روضة من رياض الجنة ، وقد يكون حفرة من حفر النار كما ورد فى الحديث • وليست العبرة بظاهر القبر،وان كان فى اطار جميل من الرياحين والزهور ، بل العبرة بباطنه • فظواهر القبور تراب ، وبواطنها أما حسرات وعذاب ، أو نعيم وثواب •

(1) محمد شاهين حمزة : مع الفكر الاسلامى فى قضاياه : 29 ـ 30
(2) المصدر السابق : 147

أخرج الديلمى فى الفردوس عن على رضى الله عنه مرفوعا :

« أول عدل الآخرة القبور ، فلا يعرف شريف من وضيع »

ولما مات أبو سلمة دخل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال : « اللهم اغفر لأبى سلمة ، وافسح له فى قبره ، ونور له فيه » (1) واذن فالقبر يضيق ويتسع ، ويظلم وينور بحسب مكانة صاحبه عند الله ، وما كان له من عمل فى الحياة الدنيا • وسؤال الميت فى القبر لم يرد عنه نص صريح فى كتاب الله ، ولكن ورد فى كثير من الأحاديث الصحيحة ما يؤكد ذلك ، وما يفيد ان الميت قد يفتن فى قبره • وكان النبىء صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن ميت وقف عليه وقال : استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسأل » (2) وأخرج البخارى عن حديث البراء بن عازب أن النبىء صلى الله عليه وسلم قال : إن هذه الآية :

« **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** » (3) نزلت فى عذاب القبر •

وقال ابن مسعود فى تفسيره لقوله تعالى : « **ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** » (4)

المعيشة الضنك : هى عذاب القبر

(1) رواه البخارى
(2) رواه مسلم •
(3) سوره ابراهيم : 27
(4) سوره طه : 124

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر • قال : نعم ! عذاب القبر حق • أى لمن يستحق عذابه • كالجبارين والمتكبرين والنمامين وأعوان الظلمة ، ومن يشتغلون بعيوب الناس عن عيوبهم ، والذين يصدقون الكهنة والمنجمين والعرافين (1)

وهذا دليل واضح على أن الانسان لا ينتهى بمفارقة الحياة • وأن احساسه الروحى لا يعدمه الموت •

روى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أترد علينا عقولنا يا رسول الله ؟ قال : نعم كهيئتكم اليوم (2)

وعن أنس بن مالك قال : قال نبىء الله صلى الله عليه وسلم : ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، انه ليسمع قرع نعالهم (3)

ومن وصية عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة :

•• فاذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار • فاذا دفنتمونى فشنوا على التراب شنا ، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى (4)

---

(1) انظر مختصر لوامع الأنوار البهية • لمحمد بن سلوم : 312

(2) أخرجه أحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه

(3) رواه مسلم

(4) أخرجه مسلم

وفيه اثبات فتنة القبر ووحشته ، وسؤال الملكين ، واستحباب المكث عند القبر بعد الدفن لحظة •

وممن يأمنون فتنة القبر المرابطون فى سبيل الله •

قال صلى الله عليه وسلم من حديث فضالة بن عبيد :

« كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله ، فانه يجرى عليه عمله الى يوم القيامة ، ويأمن من فتنة القبر » (1)

ومن الأحاديث الصحيحية الواردة فى ابتلاء القبر وعذابه ما رواه زيد بن ثابت رضى الله عنه ، قال : بينما النبىء صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه ، اذ حادت به فكادت تلقيه • واذا أقبر ستة أو خمسة • فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل : أنا • قال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الاشراك • فقال صلى الله عليه وسلم : ان هذه الأمة تبتلى فى قبورها • فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه • ثم أقبل علينا بوجهه فقال • تعوذوا بالله من عذاب القبر • فقلنا : نعوذ بالله من عذاب القبر • (2)

فالحالة التى يحيا عليها الانسان من الطاعة او المعصية ، والايمان أو الكفر هى التى يموت عليها • وهى التى عليها يبعث •

---

(1) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح •

(2) رواه مسلم

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : من فارق الدنيا وهو سكران ، دخل القبر وهو سكران ، وبعث من قبره سكران (1)

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل انسان يسأل بعد موته ٠ قبر أو لم يقبر ، فلو أغرق فى البحر وأكله الحوت ، أو أحرق حتى صار رمادا ، أو أكلته السباع لسئل عن أعماله ، وناله النعيم أو العذاب ، لأن الروح لا تفنى ، بل تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ٠ والأدلة تتضافر على أن قبل الحساب مقدمات تطفح بالبشرى أو بالانذار ٠

ففى الحديث : إن أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ٠ وان كان من أهل النار فمن أهل النار ٠ فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة (2)

ومما يؤيد هذا الحديث قوله تعالى فى آل فرعون :

« **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** » (3)

قال القرطبى عند تفسيره لهذه الآية :

« هذه الآية تدل على عذاب القبر فى الدنيا ٠ ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة : ويوم تقوم الساعة ٠٠٠

(1) أخرجه أبو يعلى فى مسنده
(2) رواه مسلم
(3) سورة غافر : 46 ٠
(4) الجامع لأحكام القرآن ٠ ج : 15/

وفى الحديث عن ابن مسعود : « أن أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشى ، فيقال : هذه داركم » (1) ولا يخفى ما فى مشاهدة الانسان لهول مصيره المنتظر من حسرة وأسى ٠ فالعذاب حاصل لا محالة سواء أكان ماديا أم معنويا ، وسواء أكان مكانه اللحد حيث الجسد ، أم البرزخ حيث الروح فقط ، وكذلك النعيم ٠ وبعضهم يرى أن المقصود من القبر هنا ليس تلك الحفرة التي وضعت فيها الجثة . ولكنه عالم البرزخ أين يكون النعيم أو العذاب المؤقت الى أن تقوم الساعة ٠

5) البرزخ مستقر الأرواح قبل البعث :

قال الجوهرى : البرزخ : الحاجز بين الشيئين ٠ وهو هنا : الحاجز ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث ٠ فمن مات فقد دخل البرزخ « ومابين الموت والبعث : فاما راحة متصلة، وإما آلام وآفات غير منفصلة » (1)

قال رجل بحضرة الشعبى : رحم الله فلانا فقد صار من اهل الآخرة ! فقال : لم يصر من أهل الآخرة ، ولكنه صار من أهل البرزخ ، وليس هو من الدنيا ولا من الآخرة (2)

قال تعالى : « **حتى اذا جاء أحدهم الموت قال : رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ٠ كلا ! انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون** » (3)

(1) القشيرى : لطائف الاشارات ٠ م : 244/4 ٠
(2) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٠ ج : 150/12 ٠
(3) سورة المؤمنون : 100

ولكن ما يفيد الاعتراف بالحق فى يوم لا ينفع فيه الاقرار ، ولا يقبل الاعتذار ؟ كما قال أحد الحكماء :

قلت للنفس إن أردت رجوعا
فارجعى قبل أن يسد الطريق

أو كما قال آخر :

واعمل لدار أنت جاعلها
دار المقامة آخر الأمد

يا نفس موردك الصراط غدا
فتأهبى من قبل أن تردى

والأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ تفاوتا كبيرا بحسب منازلها ومكانتها عند الله ٠

فمنها أرواح فى عليين فى الملا الأعلى وهى أرواح الأنبياء٠

وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبىء صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ٠

ومنهم من يكون محبوسا فى قبره كحديث صاحب الشملة التى غلها (سرقها من الغنيمة قبل القسمة) ثم استشهد ٠ فقال الناس : هنيئا له الجنة ٠ فقال النبىء صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ان الشملة التى غلها لتشتعل عليه نارا فى قبره » (1)

(1) رواه البخارى

ومنهم من يكون محبوسا فى الأرض لم تعل روحه الى الملأ الاعلى ؛ لأنها كانت روحا سفلية أرضية ٠ كما أن الأرواح العلوية التى كانت فى الدنيا مبرءة من كل ما يكدر صفاءها ونقاءها ، ومن كل من يندس طهرها وجمالها ، عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب اليه والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح المناسبة لها ٠ وهكذا فان الأرواح تلحق بأشكالها وأخدانها وأصحاب عملها ٠

قال تعالى : « **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** » (1)

وليس للأرواح مستقر واحد سواء الشقى منها أو السعيد ٠ لذلك قسمها علماء السنة فى البرزخ الى مرسلة ومحبوسة ، وعلوية وسفلية ٠ ولها بعد المفارقة صحة ومرض ، ولذة وألم ، ونعيم وعذاب أعظم مما كان لها وهى متصلة بالبدن ٠ لأن البرزخ حالة من أعمال الانسان الدنيوية ، فالأرواح المعذبة فى شغل شاغل لها بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى ٠ وأما الأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة فهى تتلاقى وتتعارف وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا ، وما يكون من أهل الدنيا كما ورد ذلك فى السنة الصحيحة (2)

روى ابن أبى الدنيا قال : لما مات بشر بن البراء وجدت عليه أم بشر وجدا شديدا فقالت : يا رسول الله ! انه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة ٠ فهل يتعارف الموتى ، فأرسل الى بشر

(1) سورة النساء : 69
(2) انظر : مختصر لوامع الأنوار البهية : 324 ـ 325 ٠

السلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ! والذى نفسى بيده يا أم بشر . انهم ليتعارفون ... الحديث (1)

وعن عبيد بن عمير قال : أهل القبور يتوكفون الأخبار . فاذا أتاهم الميت قالوا : ما فعل فلان ؟ فيقول صالح . ما فعل فلان ؟ فيقول : ألم يأتكم ؟ أما قدم عليكم ؟ . فيقولون : لا . فيقول : انا لله وانا اليه راجعون . سلك به غير سبيلنا »

ويؤيده الحديث الذى رواه أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا . فيقال : أنظروا أخاكم حتى يستريح . فانه كان فى كرب شديد . فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ . الحديث ... » (2)

وقال : « ان أعمالكم ترد على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فان كان خيرا فرحوا واستبشروا »

ولذلك قال أبو الدرداء : اللهم انى أعوذ بك أن أعمل عملا أخزى به عند خالى عبد الله بن رواحة ، وكان قد مات قبله (3)

قال ابن أبى حاتم فى تفسيره لقوله تعالى : « **الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها** » يتوفاها الله ـ أى الأرواح ـ فى منامها فتلتقى روح الحى وروح الميت ، فيتذاكران ... الى أن قال : والدليل على تلاقى أرواحهم أن الحى يرى الميت فى منامه فيخبره الميت بما لا يعرفه .

---

(1) اخرجه من حبان

(2) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط .

(3) احياء علوم الدين :: 4/531 .

والحق أن مثل هذه القضايا الغيبية لا مجال فيها للاجتهاد ، واعمال الرأى دون سند من القرآن أو السنة . فلا يصح أن يكون طريق العلم بها غير السمع الوارد بالوحى وكل ما سواه مردود فى هذا المجال .

وأذكر على سبيل المثال ما ورد فى مقال للكاتب محمد شاهين حمزة . حول عالم الروح .

يقول الكاتب :

« فماذا فى الحياة الثانية أو فيما نسميه عالم الروح أو عالم البرزخ ؟ انه عالم فسيح يملأ السماوات ، نسبته الى عالمنا الأرضى كنسبة هذا العالم الأرضى الى رحم الام حيث قضى الجنين المرحلة السابقة من حياته حتى خرج الى الدنيا .

وعالم كهذا رحيب لا يمكن وصفه ، ولا يوجد من يصفه . حسبنا كلمات تلقى قليلا من الأضواء ربما كانت كافية للانجذاب الى مباهج العالم القادم »

والى هنا لا شىء يسترعى الاهتمام أو يدعو الى الملاحظة لبيان حقيقة أو اصلاح خطا .

انما الغريب حقا ما أفاضه من قول فى التعريف بالحياة فى هذا العالم تعريفا دقيقا شاملا لعبت فيه شطحات الخيال دورا كبيرا ، وقد غذاها الوهم بأن الحياة هناك امتداد للحياة الدنيا أو نسخة منها فى كثير من الصور والألوان والأشكال ، وفى آمال البشر ومطامحه ، ولن يتسنى الحديث عن هذا العالم بمثل هذه الدقة وهذا التفصيل الا لمن عاش فيه وتنفس أجواءه .

فهو يقول : « للعلماء مكانة ممتازة فى البرزخ ، وفيه مجالس علم يعقدها العلماء ، ومحاضرات فى شتى العلوم والفنون والآداب ، لتثقيف الأرواح المنتقلة ، ومعاهد وقاعات للمطالعة ومكتبات . هنالك تنمو الرغبة فى العلم وطلب المزيد منه .

وكل الذين ينتقلون وفى صدورهم آمال علمية لم تتحقق لهم فى الدنيا تتحقق لهم هناك .

الذين لم يحفظوا القرآن من المسلمين فى الدنيا ، وكانوا يتمنون حفظه فيها تتاح لهم كل الفرص لحفظه .

يعود شمل الأسرة الذى تمزق بموت أفرادها الى الانتظام فينعم بعضهم ببعض فى غير غل ولا حقد ولا عداء .. هناك صلوات وعبادات كصلوات الملائكة وعباداتهم عمقا . يتلاقى الأصدقاء القدامى الذين فرق بينهم الموت ويعقدون أواصر صداقات جديدة أصفى وأوثق .

تعيش بعض الأرواح فى أوهامها أزمانا ، فتظن أنها لا تزال كما كانت فى الدنيا ملوكا أو رؤساء ، فتسخر منها الأرواح الأخرى ... هناك موسيقى . موسيقى عالية .. وحفلات موسيقية للأرواح . وقد يشترك فى الحفلة الموسيقية ألف عازف ، ليسوا متجاورين . ولكن كل من مكانه يربط الأثير بينهم وبين الحانهم ... للنبات هناك احساس ، وبه يطرب للموسيقى اذا سمعها ، وتتمايل أغصانه ، وتتحرك أوراقه وتهتز الأشجار الكبيرة العالية . اذا تاقت الروح الى راحة ، فانها تحصل عليها بأن تحصل على ضوء مخفف الدرجة يمكنها من هجعة .

ولو أنصف الكاتب هذا البحث لجعل له مثل هذا العنوان « عالم البرزخ كما أتمنى أن يكون » أو « تصورات شخصية لعالم البرزخ » أو « البرزخ كما أتخيله »

لأن هذه المعلومات الدقيقة الضافية لم تستند الى نص يوثق به من نصوص الدين ولكن الكاتب يقدمها كحقائق ويعرضها كمشاهد حية ، وهو واثق بصحتها وثوق المعاينة ، أو وثوق السماع الذى لا يقبل الطعن والتجريح .

فكيف سمح لنفسه بذلك ؟

لقد قرأت فى بعض تعاليقه على فقرة من فقرات مقاله ما يلى : « من شاء التوسع فى التعرف على الحياة البرزخية ، فيمكنه الرجوع الى كتاب « الروحية الحديثة دعوة الى الايمان » للمؤلف

فاستخلصت من ذلك أن ما ذكره هنا هو قل من كثر ، وغيض من فيض كما يقال . وأن هذه المعلومات ربما استقاها من الأرواح التى وقع استحضارها ودونها الوسيط ، وسنتحدث عن هذا الموضوع فيما يلى . لكن يجب أن يعلم هنا أن نشاط الروح التى فارقت البدن يختلف عن نشاطها فيه ، وأن عالم الأرواح يختلف عن عالم المادة اختلافا كثيرا فى أحواله وأطواره .

6) الأرواح محدثة لا تفنى :

الروح من أمر الله الذى لا يعلمه سواه ، وكل ما يستطيع الانسان أن يعرفه عن الروح أنها تحل فى الجسد ؛ فتدب فيه الحياة ، ويظهر فيه الادراك والوعى والارادة ؛ وأنها تفارق

الجسد فيتحول الى جماد وقد عرفها بعض الفلاسفة المسلمين بأنها جوهر لا تقبل التحلل ولا الانقسام ، يفيض على الجسم الحياة وتوابعها ، فتسرى فيه سريان الماء فى العود الأخضر ما دام الجسم صالحا لقبول الفيض

ومن ثم كانت الروح هى المميز للانسان عن غيره فى هذا العالم وبها صار عالما وحده ، وبالروح أسجد الله للانسان ملائكته ، وجعله سيد هذا الكون وخليفته فى الأرض (1)

« واذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » (2)

قال الغزالى : « لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة » • ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها ، وادراك ماهية ذاتها • ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم ، ولا أن يزيد على القول : « الروح من أمر ربى » • فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه ، وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت » (3)

ثم إن الروح وإن كانت أبدية البقاء ، فهى حادثة بحدوث البدن ، وليست أزلية قديمة خلافا لما يراه « أفلاطون » ومن تبعه من الفلاسفة اليوناذيين القدامى ، لأن النفس لا تكون نفسا الا بمشخصاتها الخاصة وتدبيرها للجسم ، وتصرفها به • فكيف

(1) السيد سابق : العقائد الدينية الاسلامية : 224

(2) سورة الحجر : 28 ـ 29

(3) احياء علوم الدين : ج : 519/4

تكون قبله ؟ ومن الغريب أن الرئيس « ابن سينا » مع قوله فى جميع كتبه بحدوث النفس مع حدوث البدن ، يذهب فى قصيدته العينية مذهب أفلاطون

ومهما اختلف العلماء فى الروح ، هل هى النفس أو غيرها ؟ وهل هى جزء من البدن أو عرض من أعراضه ، أو جوهر يجرى، فانهم عجزوا جميعا عن ادراك كنهها ، وعن علاقتها بالجسد ، ومن ادراك سر الحياة فى المادة • ومن عرف الروح منهم ، فانما عرفها بآثارها ، لا بجوهر حقيقتها •

قال ابن قيم الجوزية : « تأمل هذا الهيكل الانسانى اذا فارقته الروح ، كيف يصير بمنزلة الخشبة أو القطعة من اللحم ؟ فأين ذهبت تلك العلوم والمعارف ، وتلك الصنائع الغريبة ، وتلك الأفعال العجيبة ، وتلك الأفكار والتدبيرات ؟ كيف ذهبت كلها مع الروح وبقى الهيكل سواء هو والتراب ؟ وهل يخاطبك من الانسان أو يراك أو يحبك أو يواليك أو يعاديك ، ويخف عليك أو يثقل ، ويؤنسك أو يوحشك الا ذلك الأمر الذى هو وراء الهيكل المشاهد بالبصر ؟ •• فالعلق والوصل التى بين الأشخاص والمنافرات والبعد انما هى للارواح أصلا » (1)

والأديان السماوية متفقة على وجود الروح • لكن المذهب المادى الذى انتشر فى القرون الثلاثة الأخيرة أنكر مطلقا هذه الثنائية (الجسد والروح) معلنا أن ليس فى الوجود سوى هذا العالم المنظور ، ولا شىء سوى المادة ، ولا مكان للروح فى هذا الوجود • وعلى الرغم من انتشار هذا المذهب الالحادى ، فقد تقدمت حركة البحث فى الروح تقدما واضحا ، وذلك الى الحد

(1) التفسير القيم : 576 ـ

الذى وصفه فريد وجدى حين قال : « ان حركة الاعتقاد بالروح فى هذا العصر تفوق كل حركة تقدمتها ، وأن البرهان المحسوس على وجود الروح وخلودها صار على طرف التمام لكل طالب ٠

فيا ليت رسل الظلمة يفتحون أعينهم لمشرق هذا النور المنبعث فى كل مكان فيقلعون عن تسميم النفوس بكتاباتهم الالحادية ، والله من ورائهم محيط » (1)

ومن الأدلة الاسلامية المثبتة للروح قوله تعالى :

« ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ٠ وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (2)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله تعالى الملك ، فينفخ فيه الروح » (3)

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شخص بصره فأغمضه ثم قال : ان الروح اذا قبض تبعه البصر » (4)

وذكر الحافظ بن مندة بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما ٠ قال : لقى عمر بن الخطاب على بن أبى طالب رضى الله عنهما ٠

(1) دائرة معارف القرن الرابع عشر الى العشرين ٠ م : 4 / 400
(2) سورة الاسراء : 85 ٠
(3) رواه مسلم ٠
(4) رواه مسلم ٠

فقال له : يا أبا الحسن ! ربما شهدت وغبنا ، وربما شهدنا وغبت ٠ ثلاثا أسألك عنها : فهل عندك منها علم ؟ فقال على : وما هى ؟ قال : الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا ، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا ٠ فقال على : نعم ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » (1)

ومن ناحية أخرى فقد تجلى لكثير من العلماء المنصرفين لدراسة الكون أن من الحماقة وضع حد للممكنات ، والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه من المجهولات ٠ ومن ذلك مثلا أن العلاقة الزمنية التى يعبر عنها فى العلوم الطبيعية بقانون السببية أو العلة والمعلول ، أى ان السبب يسبق النتيجة دائما ٠ ولكن هذا القانون انكسر فى تجارب الادراك خارج الحواس ، بمعنى أنه يحدث تنبؤ ، فيحدث الادراك العقلى للحادثة « وهى نتيجة » قبل أن تحدث الحادثة فى الكون وهى (المؤثر أو السبب) ٠ كما أثبت هؤلاء الباحثون ان العقل يستطيع أن يحس ، أو يتأثر بالمادة عن طريق الادراك الخارج عن الحواس ، ويؤثر كذلك فى المادة بالطاقة التى سموها الطاقة النفسية المحركة ـ : أى أن العقل يؤثر فى المادة دون اتصال مادى مباشر ٠

فان كان هناك ادراك خارج الحواس ، وطاقة نفسية محركة ٠ فهذا دليل على أن للشخصية الانسانية شقا لا يخضع للقوانين الطبيعية المعروفة فى علم الفيزيا والكيمياء ٠ أى أنه شق روحى (2)

(1) رواه مسلم ٠
(2) العقائد الاسلامية : 233

ومن شاء الاستزادة من هذه الأبحاث فليرجع الى كتاب « العقل وسطوته » (1) ففيه بحوث مستفيضة عن هذه الناحية أصبحت فى موقف علمى رصين ، سيما وقد عرضت على مؤتمرين لكل علماء الولايات المتحدة فى الرياضة الاحصائية وعلم النفس · فالانسان اذن جسد وروح — · وقد اتفق أهل الجماعة من المسلمين على ان الروح مخلوقة لله · فهى حادثة خلافا لمن زعم من الروافض أن روح آدم ليس بمخلوق ، ولما تأولته النصارى فى روح عيسى عليه السلام ، فقالوا ان الروح انفصل عن ذات الله تعالى ، فعبدت طائفة منهم عيسى ومريم ، لأن عيسى عندهم روح من الله ، فصار فى مريم · فهو عندهم غير مخلوق ·

أما الرافضة فقد تأولوا قوله تعالى فى قصة خلق آدم : « **ثم سواه ونفخ فيه من روحه** » (2)

كما تأول النصارى قوله تعالى : « **انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه** » (3)

ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح فى آدم وعيسى وغيرهما كلها مخلوقة لله · خلقها وأنشأها وأضافها الى نفسه كما أضاف اليه سائر خلقه إضافة أعيان منفصلة عنه : كبيت الله ، وعبد الله ، وكذا روح الله ، فهذه اضافة مخلوق الى خالقه ، ومصنوع الى صانعه ، لكنها تقتضى تخصيصا وتشريفا يتميز به المضاف

(1) تأليف ج · ب · رآين · تعريب الدكتور محمد الحلوجى ·
(2) سورة السجدة : 9
(3) سورة النساء : 171

اليه عن غيره ، فهى اضافة الى الوهية · تدل على تكريمه وتشريفه ، بخلاف الاضافة العامة · فهى تقتضى الخلق والايجاد · فاضافة الروح اليه تعالى من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ، ولا من باب اضافة الصفات كالعلم والقدرة والارادة · فمثل هذه الصفات أزلية غير مخلوقة (1)

فالروح وان كانت محدثة لكنها لا يلحقها عدم ولا فناء لأنها خلقت للبقاء ، وانما تموت الأبدان ، وقد دلت على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقتها لأبدانها كما سبق ·

كما ثبت فى السنن والآثار أن الأرواح تتصل بفناء القبر وبالبدن أو ببعض أجزائه اتصال إشراق وامداد · وهى أسرع شىء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا · ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم أو العذاب · والله تعالى يقول : « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون** » (2)

مع القطع بأنهم ذاقوا الموت ، وأن أرواحهم فارقت أجسادهم ، ولكنهم مع ذلك كانت لهم صفة الأحياء فى الدنيا من الاستبشار بالنعمة ، والفرح بالمنة والرزق ·

واذا كان هذا فى الشهداء ، كان الأنبياء بذلك أحق وأولى · وقد صح عن النبىء صلى الله عليه وسلم : أن الارض لا تأكل أجساد الأنبياء ·

(1) مختصر لوامع الأنوار البهية : 319
(2) سورة آل عمران : 169

وللأرواح فى العقيدة الاسلامية أربع دور ، كل دار أعظم من التى قبلها ٠

الدار الأولى : فى بطن الأم حيث الحصر والضيق والغم

والدار الثانية : الدنيا التى نشأت فيها وألفتها ، واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاء ٠

والدار الثالثة : البرزخ وهو أعظم من الدنيا وأوسع ، ونسبتها اليه كنسبة هذه الدار الى الأولى ٠

والدار الرابعة : دار القرار ، وهى الجنة والنار ، فلا دار بعدها ٠ ولها فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى ، وهى متفاوتة فى درجات سعادتها او شقاوتها تفاوتها فى مراتب العلوم والأعمال والطاعات والقوى والأخلاق (1)

وخلود الأرواح البشرية فى النعيم أو فى الجحيم حقيقة حتمية فى الدين يجب الايمان بها ٠ وكل تأويل لمعنى الخلود الوارد فى القرآن والسنة خروج به عن معناه الأصلى بدون قرينة ولا مبرر ٠ والآيات القرآنية والأحاديث النبوية أكثر من أن تحصى فى هذا المجال ٠ ومن ذلك مثلا : قوله تعالى :

إنه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ٠ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ٠

(1) انظر : العقائد الاسلامية : 242

جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى » (1)

وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما : « يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ٠ ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ! كل خالد فيما هو فيه » (2)

روى أن قيس بن عاصم وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم مع جماعة من بنى تميم وقال له : يا نبى الله عظنا موعظة ننتفع بها ٠ فقال له : « يا قيس ! إن مع العز ذلا ، وإن مع الحياة موتا ، وإن مع الدنيا آخرة ، وإن لكل شيء حسيبا ، وعلى كل شيء رقيبا ؛ وإن لكل حسنة عقابا ، ولكل أجل كتابا ؛ وإنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حى ، وتدفن معه وأنت ميت فان كان كريما أكرمك ، وإن كان لئيما أسلمك ، ثم لا يحشر الا معك ، ولا تبعث الا معه ، ولا تسأل الا عنه ٠ فلا تجعله الا صالحا ، فانه ان صلح أنست به ، وان فسد لا تستوحش الا منه ، وهو فعلك » ٠ فقال قيس : يا نبى الله ! أحب أن يكون هذا الكلام فى أبيات من الشعر نفتخر بها على من يلينا من العرب ٠ فأمر النبيء صلى الله عليه وسلم من يأتيه بحسان بن ثابت شاعره ، ففكر قيس قبل مجيء حسان ، فقال :

تخير خليطا من فعالك إنما
قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل

(1) محمد على ناصر : أصول الدين الاسلامى

(2) سورة طه : 75 — 76

ولا بـد بعـد المـوت من أن تعـده
ليـوم ينـادى المـرء فيـه فيقبـل

فان كنت مشغـولا بشـىء فـلا تكـن
بغيـر الذى يرضـى بـه الله تشغـل

فلن يصحب الانسـان من بعـد موتـه
ومـن قبلـه الا الـذى كـان يفعـل

إلا إنمـا الانسـان ضيـف لأهلـه
يقيـم قليـلا بينهـم ثـم يرحـل (1)

فأمام الانسان فى هذه الحياة فرصة ثمينة عليه أن ينتهزها فيقهر أهواءه ، ويسمو بروحه حتى يتطهر ، ويكون أهلا للرفيق الأعلى فى جوار ربه الكريم الذى لا يقبل الى جواره المشركين والمجرمين والسفلة الذين التصقوا بالتراب ، ولم يرتفعوا عنه

كما قال جل شأنه :

« ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء » (2)

فاذا واصل الانسان جهاد نفسه وآمن بالله وبرسله وبما جاءوا به من الحق والهدى ، وتخلص من الهوى ، وانتصر على نزواته ، وارتفع عن الآثام والنقائص ، وسمت روحه الى الحق والخير والجمال بلغ المنزلة التى يريد الله أن يصل اليها الانسان فى هذه الحياة ليستحق جواره فى دار البقاء .

(1) رواه البخارى

(2) سورة الاعراف : 40

لذلك فان الاتجاه الذى سار فيه الفيلسوف محمد اقبال حول خلود الانسان يبدو لى أنه قصره على جانب واحد وهو وصول الروح الى أسمى مرتبة فى هذا النمو عندما تكون قادرة على ذلك .

« والانسان فى القرآن متاح له ينتسب الى معنى الكون وان يصير خالدا » (1)

ولا يقابل هذه الصورة من سمو الروح وخلودها الا انحطاطها وفناؤها . بينما الخلود فى مفهوم الاسلام يشمل الجانبين المتقابلين ، ويكون فى أحدهما بدون ميز إما السعادة وإما الشقاء . كما قال جل ثناؤه :

« يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه ، فمنهم شقى وسعيد . فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك . ان ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ » (2)

يقول اقبال :

« يظهر أن حالة البرزخ ليست مجرد حالة من التوقع السلبى ، بل هى حالة تلمح فيها النفس أوجها من الحقيقة جديدة ، وتتهيأ للتكيف مع هذه الأوجه ، ولا بد أن تكون حالة تحرر روحانى عظيم ، وبخاصة عند النفس الكاملة الرشيدة التى تكون بالطبع

(1) تجديد الفكر الدينى فى الاسلام : 135 ـ 136 .

(2) سورة هود ، 105 .

قد اكتسبت أنماطا ثابتة من العمليات على أساس من نظام مكانى زمانى معين • وقد يكون معنى البرزخ : انحلال النفوس التى جانبها التوفيق • على أنه لا مفر للنفس من أن تكافح كفاحا موصولا حتى توفق الى التماسك والى الفوز بالبعث » (I)

لكن أين تكافح الروح هذا الكفاح المتواصل ؟ ان كان ذلك فى البرزخ كما يدل عليه سياق الكلام ، فان هذا الرأى يتفق مع ما تقول به فلسفة « الروحية الحديثة » من أن جهنم موجودة داخل الروح وحولها ، وكذلك الجنة • وما الثواب والعقاب الا حالة نفسية ، وأن الأشرار سيستمرون بعد وفاتهم فى الاحساس بالآلام فى صورة مضاعفة • فمن يموت منهم فى حادث مفاجىء مثلا يستمر بعد وفاته يكرر هذ الحادث الى الأبد ، وأن بعض الأرواح لا تبعث ولا تخرج من قبضة الموت الا بعد أن تقوم بأعمال كبيرة وشاقة تكفيرا للذات عما جنت ، وتطهيرا لها من كل الشوائب التى تحول بينها وبين دخول ملكوت الله فى الملا الأعلى •

وبناء على ذلك فان من لا يصلح أخطاءه فى حياته الحاضرة بسبب عجزه أو خبث طويته ، سيجد نفسه فى حياته الأخرى على صلة بمن يكون قد آلمهم ، وذلك الى أن يثبت تفانيه نحوهم ، والى أن يقدم لهم الخير على قدر ما قدم لهم من شر •••

ان الأرواح البعيدة عن الكمال تبقى فى مناطقها الدنيا حتى تتخلص من نقائصها • وعندئذ تستحق الانتقال الى عوالم أرقى ••• على أنه مهما بلغ انحطاط بعض الارواح وانحرافها

(I) تجديد الفكر الدينى فى الاسلام : 137 ـ 138

فان الله لن يتخلى عنها ، بل يهيىء لها دائما أرواحا تحميها وترشدها ، وتسهر عليها لتثير فيها نزعة الخير ، والرغبة فى التقدم ، كى تصلح فى وجودها اللاحق ما اجترحته من آثام فى وجودها السابق » (I)

(I) رؤوف عبيد • الانسان روح لا جسد • ج : 2/256 ـ 257

الروحية الحديثة

(عرض ونقد)

فالروحية الحديثة لا تقول بنظرية الخلود فى العذاب ، لأنه لن تكون للروح فائدة من العودة الى طريق الخير ، ولا سبيل لها الى ذلك ما دام الأمل فى المستقبل مغلقا فى وجهها .

ولم تعتمد الروحية الحديثة فى ذلك على نصوص سماوية وانما اعتمدت على ما سجله الوسطاء لبعض الأرواح التى وقع **استحضارها حسب زعمهم** . وهى تعمل تحت لواء جمعية المباحث الروحية التى تأسست بلندن سنة 1882 ، وامتد عملها فى أنقلترا وأمريكا . ومن أعضائها أعلام فى الفلسفة وعلم النفس والعلوم الطبيعية والفيزيا والكيمياء والرياضيات . وما تزال هذه الجمعية قائمة الآن فى انقلترا وأمريكا وهى تقبل فى عضويتها المؤمنين بوجود الأرواح والمناهضين لهذه الفكرة على السواء ، وكل ما تشترطه هو الالمام بالروح كظاهرة طبيعية ، هدفها القيام ببحوث ودراسات عن الروح وعن عالم ما وراء الطبيعة فى النطاق العلمى بواسطة التجربة . وقد أقيمت لها مؤتمرات عالمية فى لندن وباريس وغيرهما وألفت فى ذلك المجلدات الضخمة التى تثبت كلها وجود عالم الروح وامكان الاتصال بالأرواح ، ومحاولة الكشف عن موقع هذا العالم ، وأسلوب الحياة فيه ، والثواب والعقاب ، والزمان والمكان وشخصية الانسان هناك ..... الخ ... .. ونتيجة لهذا النشاط المتزايد تأسست كراس للأستاذية فى البحث الروحى بعدة جامعات فى العالم .

وقد رأيت فى الجزء الأول من كتاب « الانسان روح لا جسد » (1) صورا عديدة لأشباح الأرواح التى التقطتها عدسات الكاميرا الآلية خفية عندما وقع استحضار هذه الأرواح فى الظلام ، وقرأت ما كتبه بعض العلماء الغربيين وحتى المسلمين فى اثبات ما توصلت اليه الروحية الحديثة من اكتشافات روحية عظيمة الشأن ، والتنويه بما قامت به من أعمال هى أجل شأنا مما كان يتصور الانسان ، والخروج من ذلك كله بدلالات بعيدة المدى فى حل كثير من المشاكل والألغاز ، وتصحيح كثير من القضايا والمفاهيم .

كما قرأت من اجابات الأرواح المستحضرة على أسئلة وسطائها ما يثير الدهشة والاستغراب . وأذكر على سبيل المثال هذا الاتصال بروح السيدة هيلين ميشال : (Héléne Michél)

« وهى سيدة صغيرة السن . توفيت فجأة فى الخامسة والعشرين من عمرها . كانت غنية ، فاترة الاحساس نوعا ما . كما كان اهتمامها بالامور التافهة أكثر من اهتمامها بالجاد منها . ورغم ذلك فقد كانت طيبة القلب ، رقيقة ، سليمة الطوية ومحسنة . قالت بعد أيام من وفاتها : « لا أعرف أين أنا ؟ ولا هذا الاضطراب الذى يحيط بى . لقد طلبتمونى فحضرت ، ولا أعرف لماذا ؟ لست بمنزلى الآن انهم يبكوننى لأنى غائبة ، مع أنى هنا . ولا أقدر أن أشعرهم جميعا بوجودى . ان جسدى أصبح لا ينتمى الى ، ومع ذلك أشعر به باردا مثلجا . انى أريد أن أغادره . وقد حضرت الى هنا . انى شخصان ..... أواه

---

(1) للدكتور رؤوف عبيد . أستاذ بكلية الحقوق . بجامعة عين الشمس .

متى أفهم ماذا حل بى ؟ ينبغى أن أذهب الى هناك حيث ذاتى الثانية • ماذا سيحل بهذه الذات الغائبة •••• وداعا • »

وعند استدعائها بعد بضعة أيام قالت : « أشكركم لأنكم صليتم لأجلى • وانى أومن برحمة الله التى وفرت على الآلام ، وكذلك الاحساس باللحظة التى انفصل فيها جسدى عن روحى • ان والدتى ستتحمل عناء كبيرا حتى تستسلم لارادة الله • لكن هناك من يساعدها • وما يبدو لها الآن مصيبة كبرى « وهى وفاتى » كان أمرا لا مفر منه حتى تكون ارادة الله بالنسبة لها ما ينبغى أن تكونه • سأكون بجانبها حتى نهاية محنتها الأرضية ، وسأساعدها على تحملها • لست شقية ، لكن على أن أفعل الكثير حتى أتقدم نحو المقر السعيد • وسأصلى الى الله حتى يأذن لى بأن أعود الى هذه الأرض ، لأن على أن أعوض ما فقدت من وقت فى هذا الوجود • ليقوكم الايمان أيها الأصدقاء! ولتكن لديكم ثقة فى قوة الصلاة اذا صدرت من القلب • فالله كريم » (1)

هذه رسالة من عشرات الرسائل ، بل من مئات الرسائل التى تزعم الروحية الحديثة أنها صادرة عن أرواح موتى معروفين ، أحضرت لتجيب على كل ما تسأل عنه من حياتها الشخصية فى الدنيا وفى العالم الروحانى ، وعن طبيعة هذا العالم وأسلوب الحياة فيه بصفة عامة •

وفى كتاب « الانسان روح لا جسد » نجد عدة قصائد أملتها على الوسيطة روح أمير الشعراء أحمد شوقى • ومن بينها ،

---

(1) الانسان روح لا جسد • ج : 2/275 — 276

قصيد له تحت عنوان « **تحية وتأييد** » لكتاب « الانسان روح لا جسد » •

نقتطف منه هذه الأبيات :

ورسالتى ديباجة حملتها ... شوقا أطوف به الحمى وأسلم
سجلتها متطوعا ومهيمنا ... بالروح أملى والوسيطة تلهم
يا صحب انا فى الخلود منائر ... تجلو الطريق بصدق ما نتكلم
نحيا بمملكة السماح وديننا ... حب طليق للعباد يقسم
وهنا نعيش بلا خريف منفر ... بل فى ربيع يانع نتنعم
يا لوعة الأحياء ممن أرجفوا ... بجهالة ضد الخلود وأقسموا
فأحذر مثار الغى فيمن نددوا ... بالخالدين وبالشكوك تزعموا

وارهب مآل المارقين اذا افتروا
واسترخصوا الروح الكريم وحطموا

هيهات فيهم من يفيق ومن يعى
ما السدة العلياء ؟ ، أو ما تنعم

يا غافلين عن الخلود وملكه
ما العيش فى الدنيا مآل يختم

فابغوا الرجاء على امتداد نوالكم
فى الخلد اذ يبقى الفعال القيم

ونوالها وقف على من أيقنوا
كنه الخلود فأيدوا واسترحموا •

وتعلقوا فى حكمة برقيهم
ان هم سعوا لرحابها وتقدموا (I)

والغريب فى الأمر أن روح شوقى تملى مثل هذه القصائد وهو الذى كان فى الحياة الدنيا يفند المزاعم القائلة بامكان استحضار الأرواح ، وينكر على الذين يصدقون بهذه الترهات فيقول من قصيد :

« ذكرى كرنارفون »

لا تسمعن لعصبة الأرواح ما | قالوا بباطل علمه وكذابه
الروح للرحمان جل جلاله | هى من ضنائن علمه وغيابه
غلبوا على أعصابهم فتوهموا | أوهام مغلوب على أعصابه (2)

فهل انكشف للشاعر بعد الموت من سر الحقيقة فى عالم الأرواح ما كان ينكره فى حياته ؟؟ أو هى احدى مفتريات الروحية التى يجمع بعض أعضائها الدهاة عمل هادف لغايات معينة ، وبين أعضائها السذج سرعة التصديق ؟

قال أحمد محفوظ معرضا بالوسطاء الذين يزعمون أنهم يستحضرون الأرواح ويتحدثون اليها :

يا نفس موطنك الخلود ، وانما | هذا القدوم على رحيل مزمع
وأرى وسيطك ممعنا متعمقا | بين المجامع يفترى أويدعى(3)

(I) الانسان روح لا جسد : 3 ـ 16 .
(2) الشوقيات . ج : I/79
(3) المقتطف : مج : ICO . ج : 480/5

وقال يوسف أسعد فى استحضار الأرواح :

كم منفق جهدا على استحضارها | فشلت وسائله وكم من مدعى
لك بعدها طول البقاء فقد مضت | كرها كما جاءت ، وما من مرجع (I)

لقد قرأت الكثير من المؤلفات التى صدرت عن هذه الجمعيات الروحية ، فلم أخرج منها بطائل . لكن الذى يدفعنى الى الحكم بزيف ما يدعون ، وباطل ما يزعمون :

I) أن الأرواح من عالم الغيب الذى لا يصح أن يعتمد التجربة الحسية بحال منهجا فى البحث ، لأن ذلك فوق الحس والتجربة . بينما الروحية الحديثة فى استحضارها لأرواح الموتى حسب زعمهم أو ما يسمونه « Spiritualisme » تستعمل منهجا علمانيا « Sécularisme » لأنها تقوم على الدعوة الى اخضاع عالم الغيب للتجريب . فهى تلبس مسوح العلم ، وتصطنع اسمه حين تزعم أنها تجرى التجارب على الاتصال بأرواح من ماتوا ، وتدعى أن هذا هو سبيلها الى رد الناس عن تيار المادية الطاغية . والواقع أنها ليست حربا على المادية كما يزعم أصحابها ، ولكنها إغراق فيها ، وإمعان فى التمسك بها ، لأنها لا تقنع باخضاع عالم الشهادة للمنهج التجريبى ، ولكنها تتطاول الى عالم الغيب ، تريد اخضاعه للتجربة أيضا .

واذا سلم الناس بذلك انتهى بهم الأمر الى انكار كل ما لا يمكن ثبوته عن هذا الطريق . وهنا يكمن الخطر .

(I) المقتطف . مج : 64 . ج : 262/3

2) أن الروحية الحديثة تقوم على عقيدة الحلول ووحدة الوجود وهى عقيدة باطلة يتبرأ منها الاسلام :

ومن ذلك مثلا : ما ورد فى كتاب لجمعية إسلامية روحيــة من أقوال روح الرائد لهذه الجمعية :

« انى صوت منبعث من السماء • ينادى أهل الأرض أن آمنوا بالله ••• تذكروا دائما أنكم فى الله ، وأن الله فيكم •••••

نحن جميعا جزء من الروح الأعظم ، وأنتم فى مجموعكم مـع بقايا الحياة الاخرى تكونون الروح الأعظم ، ولا وجود لله خارج هذه المجموعة ، ولو أن هذا القول لا يمكننى أن أبرهن عليه ، الا أنه يحسن قبول كلمتى فى هذا الصدد (1)

3) أن الروحية الحديثة رغم أن الأقوال التى تنقلها عن الأرواح فى مجالس خاصة أو عامة تحمل فى جملتها طابعا مسيحيا مـن حيث العقيدة ، كالصلاة من أجل خطايا البشر ، وطول الافاقة من سكرة الموت ، والخلاص من سجنه ، وتعنت بعض الأرواح الشريرة فى العالم الآخر ، وقيامها بأشق الأعمال تكفيرا عن آثامها • فان هذا الاقوال التى تنقلهـا عن أرواح الموتـى لا تخلـو أحيانـا من تناقض وتضارب • فى حين أن الحق واحد فى جوهره عند الله ، والأرواح فى عالم الحقيقة تصدر عن الحـق • فمـا سـر اختلافها ؟

قالت روح الدكتور كاردون (Gardon) : صلوا أيها الأصدقاء لهذا العالم غير المنظور الذى يتحكم فى مصائركم (2)

---

(1) كتاب التوحيد والتعديد : 45و52 •
(2) الانسان روح لا جسد • ج : 2/276

وقالت روح أوقيست ميشيل (August Michel) لوسيطه :
« أنت الوسيط الوحيد الذى يمكن أن أطلب منه أن يصـلى لى حتى تنتشلنى رحمة الله من الاضطراب الذى أعانيه •••• إن صلاتكم يمكن أن تفيدنى ، فأرجو ألا تتوانوا عن أدائها (1)

بل ان المتأمل فى ما تنطوى عليه رسائل الموتى وأقوالهم يلاحظ أنها لا تخلو من دعاية تبشيرية للمسيحية من جهة وازالة الحواجز بين الأديان والعقائد الأخرى من جهة ثانية • فالروح المرشـد لبعض الجمعيـات الروحيـة « سلفربش » يقـول فى كتابـه :

« لازال المسيح فى عالمنا هو أعظم من نعرف ، ولم يحدث قبل يومه أو بعده أن تنزل الالهام الالهى الى الأرض بالقدر الذى نزل عليه •

ثم هو يكذب برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ويزعم أن لعيسى أبا فيقول :

« كان عيسى آخر الأنبياء والمعلمين ، ذاك الذى ولد من أبوين يهوديين » (2)

ولو أتيح لهذه الأرواح جدلا أن تعـود من عـالم الحـق الى الأرض ـ والعودة بعد الموت مستحيلة ـ لما دعوا الناس فى هـذا الزمان الا الى اتباع محمد والأخذ من قرآنه وحسب (3)

---

(1) المصدر السابق : 278
(2) الحكمة العالية : 53 ـ
(3) ركائز الايمان : 358

وان كانت هذه الرسائل والأقوال صادرة عن أرواح بعض المسلمين كروح أحمد شوقى حين قالت حسب زعمهم :

والى الرغائب يستجيب ذووا النهى
فالعلم فى دنيا الخلود متمم
ولذاك قامت فى الخلود منابر
تدلى بأقدس ما ينير ويفهم
وتنادت الأجيال بالعلم الذى
من عالم الغيب استقام يكرم
وتخاطب الرواد من أقصى الدنى
مع روح من فى الخالدين وسلموا
وغدا التجسد والظواهر غاية
يصبو اليها الباحثون ليحكموا

أليست هذه دعاية من عالم الروح للروحية الحديثة تخدم ركابها ، وتعلن صدقها على لسان شوقى الذى كان يرد على مزاعمهم الباطلة فى الدنيا ؟ فاذا هو اليوم يقول أو يقولونه :

وأقيمت الجلسات تحت رقابة
حتى ثقات الراسخين تكلموا
اذ أجمع النقاد ألا خدعة
بين الظواهر والمؤيد يحكم (1)

(1) الانسان روح لا جسد : 6/2

ومهما عدد لنا المصدقون والمؤمنون بالروحانية الحديثة من أعلام العلماء الأوروبيين والأمريكيين الذين شاهدوا هذه التجربة وقدموا دراسات علمية فيها ، واستخلصوا ما توصلوا إليه من أبحاثهم عنها فليس أحد بملزم أن يقبل ما يملونه من آراء ، أو يشيعونه من معتقدات ٠

وقد نشرت مجلة المعرفة بحوثا فى الرد على هذه الروحانية (1) كتبها الشيخ عبد الواحد يحيى (2)

ومما جاء فيها :

« من أخطر الأغلاط الغربية الحديثة واحدة ثبتت فى أمريكا منذ أقل من مائة سنة 1847 وعرفت باسم « الروحانية الحديثة » ويمكن تحديد معناها بأنها : ثبوت إمكان الاتصال بالموتى

أما كيف بدأت ؟ فانها لاحت فى بعض ظواهر طبيعية كانبعاث أصوات ، وتحرك أشياء فى أحد المنازل بدون سبب واضح لها ٠ أما هذه الظواهر فقد لوحظت فى كل زمان ومكان ، فلا يمكن القول بأنها ظواهر شاذة ٠ فلماذا يولد منها الغربيون عقيدة

(1) انظر : مجلة المعرفة : صفر : 1350هـ ـ يوليو 1931م ـ ربيع الثانى 1350هـ سبتمبر 1931 م ـ جمادى الثانية : 1350هـ ـ نوفمبر 1193م ٠

(2) هو الاسم الذى اختاره العالم الفرنسى الشهير : « روكيى جينو » اعتنق الاسلام على يد الشيخ عبد الرحمن عليش سنة 1912 وعاش بالقاهرة وكان صوفيا شاذليا ٠ وكان اسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من الغربيين ذوى البصائر النيرة فاقتدوا به واعتنقوا الاسلام (انظر ترجمته فى كتاب المدرسة الشاذلية الحديثة ٠ للدكتور عبد الحليم محمود : ص : 264 ـ 229

جديدة فى تلك الحالة الخاصة ؟ بينما لم يفكر أحد فى شىء من ذلك من قبل !! ....

وإننا اذا تخيلنا صورة الحياة بعد الموت على مثال صورة حياة الجسم على الأرض ، وهى التى انقاد لها أتباع « الروحانية الحديثة » التى لم تكن فى الحقيقة الا مادية من نوع آخر ، بل أكثر ضررا من المادية لأنها تخلق الأوهام والتخيلات فى حقيقة طبيعتها ، حتى تتمكن من التأثير فى الذين لم يقبلوا الآراء المادية الصريحة الشائعة . ويكفى أن نرى كم من أشخاص — بواسطة ما يسمى الاتصال بالموتى — أصيبوا بالجنون أو الخراب ثم الانتحار .

... ثم إن هذه الظواهر المختلفة التى يرى فيها الروحانيون الحديثون برهانا على وجهة نظرهم كانت معروفة عند القدماء ، بل كانوا أكثر علما بها ممن يعرفونها الآن . لذلك فاننا ننكر التفسير الحديث لهذه الظواهر والحقائق بنسبتها الى فعل « الأرواح المجردة » . وهى الشخصيات الانسانية التى زالت من عالم الوجود الأرضى . إذ كيف يقبل التفكير السليم أن هذه الأرواح المجردة يمكنها تحريك مائدة أو استيلاؤها على اليد بقوة خفية ، فتجعلها تكتب أو ترسم ، أو أشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل ؟

فمثل هذه الاثباتات لا تدل الا على عدم العلم ...

وينبغى أن نذكر أنه : اذا أمكن للانسان أن يتصل بالأرواح ، فان ذلك لا يكون الا بان يصير نفسه متيقظا فى حالة وجوده الخاصة التى تطابق الحالة نفسها ، والتى تكون فيها تلك الأرواح

فعلا . ولكن هذه مسألة أخرى ليس لها أية صلة بتعاليم وأفعال الروحانية الحديثة ...

ونحن اذا رجعنا الى الحالات النفسية التى تعترى الانسان تحت تأثير التنويم المغناطيسى او تحت تأثير قوى أخرى كامنة فيه ، فينبغى أن نقرر أن الانسان فى هذه الحالات — كما فى الحالة العادية — يحاط بقوى فعالة مختلفة ألطف من تلك التى فى عالم الجسم والحس . وهذه القوى لها قوانين مثل القوانين الطبيعية الاخرى . فان أمكن أن تجمع وتركز بشروط خاصة ، فانه ينبعث منها تأثيرات ربما تظهر غريبة لمن يجهلون مثل هذه الاشياء ؛ مثلها فى ذلك مثل ظهور التأثيرات الكهربائية لمن يجهلون الطبيعيات

... فالانسان فى حالته العقلية او النفسية يجد نفسه متصلا — كما فى الحالات العادية — بكائنات أخرى موجودة فى حالات تتفق مع حاله . وهذا ما يحدث لهؤلاء الذين يشتركون فى (جلسات) الروحانية الحديثة بدون رغبة منهم أو معرفة ، فيوصلون أفكارهم الى الوسيط ...

وفى بعض الحالات تحدث الظواهر — طبيعية كانت أو مفتعلة — بعناصر تنبعث حقيقة من الموتى ، ولكن ليس اتصال فعلى بشخصياتهم الحقيقية : وهذه العناصر ما هى الا بقايا نفسية مشابهة لبقايا الجسم التى يتركها الميت بعده بتحلله : لأنه يوجد فى الطبقة النفسية عناصر تلازم الخالد من الكائن ، وهذه العناصر أقرب الى الحالة الجسمية ، ولذا يمكنها أن تولد تأثيرات حسية .

كما ينبغى أن نذكر إمكان تداخل كائنات ليست لهـا حيـاة جسمية ، وليست لها طبيعة روحية خالصة ، ولكنها تقرب جدا من العالم الحسى • ولهذا يمكنها أن تحدث تأثيرات فيه • ويرند أن نشير هنا بصفة خاصة الى فعل الجن •••

وعلى أية حال فان القوى التى تعمل فى هذه الظواهر ـ سواء أكانت تخص الوسيط نفسه ، أو أى حى آخر سواه ، أو كانت قوى أخرى خارجية مثل القوى السابحة ، أو قوى تنبعث من أحياء مثل الجن ـ هذه القوى تقرب جدا من العالم الحسى ، ويجب أن تعتبر من طبيعة منحطة ، فلا تتدخل القوى العلوية فيها مطلقا • لذلك فلا يصح التصديق أبدا بظهور شخصية أحد الموتى • وكثيرا ما تستمد هذه القوى أفكارها من عالم الأشخاص الذين تظهر بينهم ، فتعبر عما يجول بخاطرهم وهذا يفسر لنا : لماذا يناقض ما تسمى (بالأرواح) بعضها البعض

خذ مثلا لذلك : بينما تشيع نظرية « التقمص » فى فرنسا ، إذ لا يعترف بها فى انقلترا وأمريكا • رأينا أرواحا مادية فى بعض الرسائل التى تسلمت فى هولاندا منذ عشرين سنة تنكر الخلود ، وتثبت أن حياة الانسان تبقى بعد الموت على الأكثر لمدة مائة وخمسين عاما •••

وهكذا فان السحرة يمكنهم أن يقلدوا بعض كرامات الأولياء، ومع هذا التشابه الظاهرى فى النتائج فانه لا يوجد شيء مشترك بين مصادرها المتباينة فيما بينها تماما • فنخلص من ذلك كله الى أن المعرفة الروحية لا يمكن أن تتكون الا اذا بدأت من فوق• وهذا نقيض ما يفعله العلم الغربى الحديث تماما ، ذلك العلم

الذى يريد أن يبدأ من الوقائع ليستخرج منها تفسيرا شاملا ، كما لو كان الأكثر يمكن أن يستخرج من الأقل ، وكما لو كان الأوضع يتضمن الأرفع ، وكما لو كانت المادية يمكن أن تكون معيارا للروح !؟

هذه مقتطفات اخترتها من الفصول القيمة الطويلة التى كتبها هذا العالم الفرنسى المسلم فى مجلته التى أنشأها بالقاهرة وسماها « المعرفة »

ويقول بعض المفكرين الهنود : إن الذى يتلبس الوسيط أثناء التحضير هى أرواح سفلية تعرف بعض الأشياء عن الموتى وتستخدمها فى السخرية بعقول الموجودين والضحك عليهم •

ويقول بعض الصوفية من المسلمين : إن الذى يحضر فى تلك الجلسات ليس الروح ولكنه القرين ، وهو الجن الذى كان يصاحب الميت أثناء حياته ، وهو بحكم هذه الصحبة يعرف أسراره كما أشار القرآن (I) ولأن الجن يعمر ، فهو يبقى حيا بعد موت صاحبه ، وهو الذى يحضر الجلسات ويفشى أسرار صاحبه ، ويقلد صوته وعاداته ليسخر من الموجودين •

وبعبارة أدق ، فان الذى يحضر هو الخادم ••• أما السادة فانهم لا يتركون عالمهم ويحضرون بهذه السذاجة • انما الذى يحضر فى الجلسات ويهرج على الموجودين هى الأرواح السفلية والجن ومن فى مستواهم ، أما الأرواح البشرية فهى فى عالم آخر هو

(I) سورة ق : 22 ـ 29

عالم البرزخ ، ولا يمكن استحضارها ولكنها قد تتصل بمن تحب فى الحلم إذا توفرت الظروف الملائمة » (1)

ومن ناحية أخرى فان هذه الروحية تزعم أن الأرواح فى فترة البرزخ تستأنف ما كان لها من نشاط وهواية فى الحياة الدنيا ، ولكن فى دائرة أوسع وقدرة أعظم ، فبعضها يشتغل بالطب وعلاج المرضى ، وبعضها يشتغل بالنصح الفردى وحل المشكلات ، وبعضها يهيم فى ذهول لا يدرى أين مات ؟ ولا كيف مات ؟ والبعض الآخر أتيحت لهم ضروب من الخدمة الاجتماعية ، لعلها ترقى وتنال رضوان الله ، فتكفر عما فاتها فى الدنيا ، وتصلح أخطاءها الماضية عن طريق محن جديدة هذا ما يكتب الروحنيون فى رسائلهم (2)

ولكن الاسلام يوضح فى نصوصه المعتمدة من القرآن والحديث ألا مكان بعد الموت لعمل ، ولا فرصة لتوبة ، ولا مجال لتدارك ما فات ، أو اصلاح ما فسد ...

فوق هذه الارض وخلال العمر المقدر للانسان فيها ، يصنع الانسان مصيره . ومن المستحيل أن تتاح له فرصة بعد الموت لتوبة ان كان آثما ، أو لارتقاء ان كان ناقصا

فهذه اجابة الله للمجرمين وهم يلقون جزاءهم :

« قالوا : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون . قال اخسأوا فيها ولا تكلمون

(1) حوار مع صديقى الملحد : 59 — 60

(2) انظر المصدر السابق : ج 2/263 — 344

انه كان فريق من عبادى يقولون : ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون . انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم الفائزون . (1)

وهذه الاجابة الالهية تكرار لما قد يسأله المجرمون عند ساعة الاحتضار ، عندما تذهب السكرة ، وتجيء الفكرة ، عندما يتلهفون على ماض ضاع سدى (2)

وفى العقيدة الاسلامية لا تفيد التوبة صاحبها عند الغرغرة ، ولا تنفعه يقظة ضميره بعد فوات الأوان . لذلك لم يقبل الله توبة فرعون ولا ايمانه . قال تعالى :

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال : انى تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار . أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما . » (39)

كما أنه لم يقبل سبحانه ايمان المكذبين لرسلهم ولا توبتهم عندما رأوا العذاب ينزل عليهم :

« فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا » (4)

وهذا المعنى السارى فى آيات الله نرى مثله فى أحاديث النبىء صلى الله عليه وسلم :

(1) سورة المؤمنون : 106 — 111

(2) ركائز الايمان : 344 / 346

(3) سورة النساء : 346

(4) آخر سورة غافر

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له (1)

وخطب النبىء صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية ، فقفوا عند نهايتكم ٠

ان المؤمن بين مخافتين ٠ بين أجل قد مضى ، لا يدرى ما الله صانع فيه ؛ وبين أجل قد بقى . لا يدرى ما الله قاض فيه ٠ فليأخذ امرؤ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ٠

والذى نفس محمد بيده : ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار »

وفى هذا المعنى يقول على ابن أبى طالب كرم الله وجهه : « اليوم عمل بلا حساب ، وغدا حساب بلا عمل »

فالأرواح بعد الموت يستغرقها الجزاء المقدور لها على ما قدمت فى حياتها الأولى ٠ وتصور استئنافها للعمل بعد الموت كما يزعم الروحيون انما هو تصور معتل لا صلة له بالدين ، ولا يعتمد على أثارة منه (2)

ويظهر لمن يدرسون الاسلام وتعاليمه دراسة عميقة ممعنة أن الروحية الحديثة تعمل على ترويج دين تنسخ به تعاليم الأنبياء ،

(1) رواه مسلم ٠
(2) ركائز الايمان : 350

وتحمل بين جنباتها أفكارا هدامة لكثير من قيمنا الروحية ولتعاليم السماء ٠ انهم يلمسون من خلال العبارات المحمومة التى تلقيها الأرواح عن طريق الوسطاء مجموعة خرافات تنبت من الأرض ولم تنزل من السماء،وأن من أوحى بها ليسوا أرواحا هادية ، وانما هى سخرية الشياطين بالبشر فى مجالس الأشباح والأوهام ليملوا عليهم هذه المنكرات ان كان ما يدعونه لم يفتروه

قال الله تعالى : « **وكذلك جعلنا لكل نبىء عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ٠ ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون** » (1)

وخلاصة القول : فان التصور الاسلامى الصحيح لعقيدة البعث يقوم على هذه المبادىء والأصول وهى : (1) للوجود غاية ـ (2) وللعالم نهاية ، ـ (3) والموت انتقال لافناء ، ـ (4) والقبر أول منازل الآخرة ، ـ (5) والبرزخ مستقر الأرواح قبل البعث ـ (6) والروح محدثة لا تفنى ٠

ومتى انحرف الفكر والمعتقد عن أصل واحد من هذه الأصول اختلت العقيدة السليمة لتصور البعث واليوم الآخر طبقا للصورة التى وضعها القرآن والسنة فى اطار قار لا يتغير ٠

(1) سورة الانعام : 103 ٠

اليوم الآخر

يهتم القرآن الكريم اهتماما بالغا بتقرير حقيقة اليوم الآخر وما يكون فيه من بعث وحساب وجزاء ، ثم ما يتبعه من حوض وصراط وشفاعة ؛ ودعم الايمان به فى القلوب بوصفه ركنا من أركان العقيدة الاسلامية ٠

ويتجلى هذا الاهتمام :

(I) بكثرة ذكره له ، فلا تكاد تخلو سورة من الحديث عنه ولو فى اشارة أو تلميح ، مع تقريبه الى الأذهان تارة بالحجة والبرهان وتارة بضرب الأمثال ٠ وكثيرا ما يتحدث عن الدنيا كأنها ماض كان ، والأخرى كأنها الحاضر الآن ٠ وينتقل الكلام فجأة من الوصف المجرد الى الحوار ، فيخيل الى السامع أن المشهد حاضر يوجه فيه الخطاب وذلك للتأثير فى النفوس ٠

« وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ، حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى ٠ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين » (I)

لقد عنى القرآن بمشاهد اليوم الآخر ، فلم يعد ذلك العالم الذى وعده الناس بعد هذا العالم موصوفا فحسب ، بل عاد

(I) سورة الزمر : 7I ٠

مصورا محسوسا ؛ وحيا متحركا ، وبارزا شاخصا ، وعاش المسلمون فيه ، فرأوا مشاهده ، وتأثروا بها ، وخفقت قلوبهم تارة ، واقشعرت جلودهم أخرى ، وسرى فى نفوسهم الفزع مرة وعاودهم الاطمئنان أخرى ، ولفحهم من النار شواظ ، ورف اليهم من الجنة نسيم ٠ ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم قبل اليوم الموعود ، وقد أضحى لديهم واضحا وضوح العقيدة الاسلامية : موت وبعث ، ونعيم وعذاب ؛ لأن هذه الحقيقة الواضحة يعرضها القرآن فى صور شتى ، وترتسم فى عالم حافل بالمشاهد المنتزعة من عالم الاحياء ، وتتراءى فى عديد الألوان والأشكال والسمات فتؤلف بذلك ملاحم فنية رائعة تتملاها النفس ، ويتابعها الخيال ويستغرق فيها الحس ٠ (I)

تأمل فى هذا المشهد القرآنى المخيف ، كيف يرسم فى اشارة صورة لهول هذا اليوم تتجاوز الانسان الى الطبيعة كلها !

« وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ٠ ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ٠ يوم ترجف الأرض والجبال ، وكانت الجبال كثيبا مهيلا ٠ انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا ، فكيف تتقون ـ ان كفرتم ـ يوما يجعل الولدان شيبا ٠ السماء منفطر به ، كان وعده مفعولا » (2)

وهذه آيات تعبر فى ايجاز محكم عن مصير الذين ينكرون البعث واليوم الآخر ، فتصور لهم المقدمات التى

(I) سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن : 38 ـ 39

(2) سورة المزمل : 28

تسبق يوم القيامة ، وما يكون فيها من ظروف عصيبة • وقد استعمل القرآن لذلك ألفاظا فيها فخامة تملأ الفم ، ورعب يملأ الفؤاد • فأبدع أيما ابداع فى ابراز الصورة المخيفة • ومن هذه المفردات مثلا : جهنم ، مرصادا ، للطاغين ، أحقابا ، حميما غساقا ،

فلو أبدلت هذه بنظائرها لكان التعبير صورة باهتة شاحبة خالية من التأثير •

وكثيرا ما تعنى هذه المشاهد بتصوير النعيم والعذاب بعد البعث والحساب ، فتعرضهما مرة ماديين يلمسهما الحس ، ومرة تجمع بين هذا اللون وذاك (1)

يقول الدكتور مصطفى محمود :

« كان من أسباب انصرافى عن القرآن فى شبابى ما قرأته من أنهار العسل وأنهار الخمر فى الجنة ، وأنا لا أحب العسل ، ولا أحب الخمر • فاعتبرت هذه سذاجات ، وانسحب حكمى على القرآن ثم على الدين كله • والساذج فى واقع الآمر لم يكن الا آنا فأنا لم أحاول أن أتفهم النص القرآنى ، ولا أن أعكف حتى على ظاهر عبارته ، فما بال باطنها •••؟ وكنت فى عجلة من أمرى، وكان الانصراف غايتى وشهوتى ، وغطت هذه الشهوة على كل شيء ، فضاعت معالم الحقيقة من أمامى ، وفاتتنى أمور كانت شديدة الوضوح •

فماذا يقول القرآن فى الجنة ؟

---

(1) مشاهد القيامة فى القرآن : 45

« مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى » (1)

والآية تبدأ بأنها ضرب مثل : « مثل الجنة التى وعد المتقون »

وليست ايرادا لأوصاف حرفية • فهذا أمر مستحيل ، لأن الجنة والجحيم أمور غيبية بالنسبة لنا ، لا يمكن تصويرها فى كلمات من قاموسنا تماما ، كما يسألك الطفل عن أشياء فوق تصوره فتحتار كيف تصفها له، وتختار له شيئا من خبراته اليومية على سبيل ضرب المثل وعلى سبيل التقريب • ومع ذلك فما أبعد المعنى ! ••• ولكن القرآن لا يتركنا فى ضباب الأمثلة ، فما يلبث أن يقطع بالقول الفصل :

« فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» (2) هنا كل منى العين والقلب ، مما لا يمكن تصويره بألفاظ •

انه يحيل القضية كلها الى غيب لا يمكن التعبير عنه بلغة الأرض • (3)

ولكن هذا لا ينبغى أن يحمل على القول بأن ما ورد فى وصف نعيم الجنة من أشجار وأنهار وظل ظليل ، وفاكهة وثمار ، ليست إلا جريا على ما يحبه العرب مما حرموا منه فى صحرائهم

---

(1) سورة محمد : 15

(2) السجدة : 17

(3) القرآن محاولة لفهم عصرى : 75 — 77

القاحلة ، حتى يكون ذلك أدعى للتأثير عليهم ، وجلبهم الى حظيرة الايمان ، وهى نزعة المستشرقين ومن سار فى فلكهم عند تفسيرهم للآيات التى تضمنت ما أعد الله للمؤمنين من نعيم مقيم فى جنة الخلد ، وما أعد للمشركين والملحدين فى آياته من عذاب وأهوال فى الجحيم • وهو تضليل وتكذيب بوعد الله ووعيده •

والحقيقة أن القرآن الكريم أراد أن يؤكد فى أذهان البشر حقيقة واقعة عن الجنة ومتعها ونعيمها وأحوالها ، وعن النار وعذابها وشدتها وأهوالها ، حتى يتسنى للانسان أن يقف على صورة قريبة من ذلك ، ولا بد أن تكون هذه الصورة من جنس ما يعرفه ، وأن يكون التشبيه من واقع ما يعلمه ، وأن يكون المثل مما مر به (1)

وللانسان أن يتصور مدى الفارق بين الحقيقة ، والمثل او الصورة • ولا ننسى فى هذا الصدد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن اليوم لآخر ، وما استعرض فيها من مواقف القيامة التى تبدأ بالنفخ فى الصور ، وتنتهى بوصف مقاعد الجنة ومهاوى النار فى وضوح فكرة ، وإجادة تصوير •

ولعل من المفيد أن نعرض بعض المشاهد كما رسمها البيان النبوى الخالد عن اليوم الآخر :

فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك • أين ملوك الأرض ؟ » (2)

(1) عبد الرزاق نوفل : يوم القيامة : 152

(2) رواه مسلم

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » (1)

وقد جرى هذا الحديث مجرى المثل شهرة واستفاضة • وهو على قلة ألفاظه لا يدع لنفس المؤمن بعده من مأمل • فكل ما أمكن أن يتخيله التصور الانسانى من نعيم ومتعة يندرج فيه لا محالة • وذلك بعض ما يعطيه الأدب البليغ ، اذ يشبع النفس ريا بكلمات معدودات • وللرسول فى ذلك مجال لا يبارى ، ولا يشق له غبار • وما أكثر ما تحدث صلى الله عليه وسلم عن حشر الناس حفاة كما خلقوا ! أما الموقف نفسه فقد قال فيه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابن عمر :

« تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم بمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق • فمنهم من يكون الى كعبيه ، ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق الجاما ، وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فيه » (2)

أرأيت بحرا يعوم فيه الناس ، وقد اختلف ارتفاع موجه هبوطا وصعودا وفق ما قدمه السابحون ، وحرارة الشمس اللاهبة فوق الرؤوس ، دانية بشواظها اللفاح • فاى موقف هذا الذى صوره البيان المحمدى فى أوجز عبارة ؟ (3)

(1) رواه مسلم

(2) رواه البخارى

(3) انظر : صور القيامة فى أدب محمد • لمحمد رجب البيومى • مجلة الاقلام ج : 9 • س : 4

أما أحاديث الشفاعة فهى كلها رائعة مؤثرة ، وكل حديث منها يمثل قصة شيقة ذات عرض وحوار وأحداث ٠

ولم يعرف الأدب العربى قبل الاسلام وصفا كاشفا لليوم الآخر ٠ وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من أضاف للأدب العربى ـ بما نزل عليه من وحى ـ صورا مؤثرة نافذة فتحت العيون على آفاق واسعة من عالم الغيب الذى لم يكن الجاهليون وغيرهم يعرفون عنه شيئا ٠ وقد وجد لدينا من الأدباء من استغل أحاديث القيامة التى وردت فى القرآن والحديث فى انتاجه الفنى كالمعرى فى رسالة الغفران ، حتى تأثر الأدب العالمى بهذه الأحاديث لما فيها من قوة التصوير وعمق الادراك واثارة العاطفة ٠

« فدانتى » حين تحدث فى (الكوميديا الالهية) عن الجحيم قد أتى بصور اسلامية لا تعرفها المسيحية ، وانما تلوح مصادرها فى آيات القرآن وأحاديث الرسول ٠

وملتون حين وصف نعيم الجنة فى (الفردوس المفقود) انما استلهم القرآن والحديث فى بعض ما نظم ٠

2) كما يتجلى اهتمام القرآن باليوم الآخر :

فى ربط الايمان به بالايمان بالله

وكثيرا ما يلاحظ هذا الربط فى القرآن الكريم كقوله تعالى:

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ٠٠٠ » (1)

---

(1) سورة البقرة : 177

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين من آمن بالله واليوم الآخر» (1)

3) فالمتتبع لآى القرآن يجد لهذا اليوم أسماء كثيرة ، وكل اسم منها يدل فى الغالب على ما سيحدث فى هذا اليوم من أهوال

فهو يوم البعث : لأن الخلائق تبعث فيه :

« وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث ٠ فهذا يوم البعث ، ولكنكم كنتم لا تعلمون »(2)

وهو يوم الدين : لأن كل نفس تجزى فيه بما كسبت :

« مالك يوم الدين » (3)

وهو يوم الحساب : لأن الخلائق تحشر فيه للحساب

« ٠٠٠ إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » (4)

وهو يوم الخروج : لأن الناس يخرجون فيه من الاجداث سراعا :

« يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج » (5)

---

(1) سورة البقرة : 62

(2) سورة الروم : 56

(3) سورة الفاتحة :

(4) سورة غافر : 27

(5) سورة ق : 42

وهو يوم الحسرة : لأن العصاة يتحسرون فيه على ما فرطوا من جنب الله :

« وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » (1)

وهو يوم التغابن : لأنه يغبن فيه أهل الجنة أهل النار :

« يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » (2)

وهو يوم الفصل : لأن الله يفصل فيه بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون ، ويقتص فيه للمظلومين من الظالمين :

« ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين • يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون • الا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم » (3)

وانما اهتم القرآن هذا الاهتمام باليوم الآخر لعدة اسباب أهمها :

1) ـ أن المشركين من العرب ينكرونه شديد الانكار

« وقالوا : ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا » (4)

2) أن تصور أهل الكتاب لهذا اليوم قد بلغ منتهى الفساد ، فلا بد أن يقول القرآن فى كثير من المناسبات كلمته الفاصلة •

---

(1) سورة مريم : 39

(2) سورة التغابن : 9

(3) سورة الدخان : 40 ـ 42

(4) سورة الجاثية : 24

فالنصارى يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادى المخلص• الذى يفدى الناس بنفسه ، ويخلصهم من عقوبة الخطايا كما خلص البشرية ـ حسب زعمهم ـ من تبعات خطيئة آدم

وهذا يطابق ما يقوله الهنود فى «كرشنا ، وبوذا» (1)
وعقيدة اليهود فى اليوم الآخر لا تقل فى ضلالها وفسادها عن عقيدة النصارى ، كما حكى ذلك القرآن :

« وقالوا : لن تمسنا النار الا أياما معدودة • قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون » (2)

« وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه • قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ؟ » (3)

والفكرة الحديثة للمعتقدات اليهودية حول اليوم الآخر ، أن الحياة فى عالم بعد الموت منقوصة بلا أمل • والديمومة فيها جامدة مملة ـ كما سبق بيان ذلك •

3) ـ ان من الخير للانسان أن يعلم علم اليقين بأن عمره فى هذه الدنيا ان لم يكن وسيلة للترقى فلن يشرق غده ، وأن الصلة وثيقة بين فعل الخير فى الدنيا وما يعقبه من سعادة فى الآخرة ، وبين اقتراف الشر واستحقاق العذاب الأليم •

---

(1) انظر : العقائد الاسلامية : 260 ـ 261

(2) سورة البقرة : 80 ـ

(3) سورة المائدة : 18

وأكثر الناس يذهلهم ما بين أيديهم عما وراءهم أو عما ينتظرهم كما قال شاعر عربى :

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

ثم انه لا دافع للخير ، ولا رادع عن الشر ، ولا حافز على مراقبة النفس ومحاسبتها كالايمان بأن حياة القيامة من الأمور الثابتة التى لا تقبل الشك أو الجدل

« ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه • ان الله لا يخلف الميعاد » (1)

ومتى آمن الانسان بأن الدنيا ممر للآخرة فلم يجعلها أكبر همه اعتقادا منه بأنها زائلة ، وهى لا تزن عند الله جناح بعوضة ، وأن الآخرة خير وأبقى ؛ هان عليه أمرها ، وخلص نفسه من آفتى الحرص وطول الأمل ، وتمسك بدينه ، ودان نفسه وعمل لما بعد الموت •

وما هذا الخواء الذى يلف غرباء العصر ، أو المتغربين من شبابنا الضائع ، الراكضين فى المتاهات ، المشدودين الى الارض ، المستعبدين للمادة • تحكمهم الحتمية من خارج ، وتسد منافذهم الباطنية والخارجية الى الحرية ، الى تجاوز الطعام والشراب واللذة الحسية صوب عالم القيم والمعتقدات ، لم يكن هذا الخواء الروحى وآثاره المهيمنة عليهم الا نتيجة انعدام الايمان بما وراء الموت •

---

(1) سورة آل عمران : 9

قال ق• لوبون (G. Le Bon) : ان من الفلسفات الحديثة ما يهدم القيم الروحية والاخلاقية التى كانت تقوم عند الشعوب الكاتوليكية قرونا طويلة على أساس الدين ، وهو الايمان بالله قوى قد أعد العقاب لمن خرج عن أمره • ولما تزعزع الدين وضعف سلطانه ، فقدت الاخلاق أساسها المتين ، وفقد الانسان كل اطمئنان نفسى فى الحياة ، وانهارت بذلك المبادىء التى كانت قوة عظيمة تحرك السلوك وتوجهه (1)

أما بداية اليوم الآخر فتسبقه شروط وعلامات ورد بعضها فى القرآن وبعضها الآخر فى الحديث مفصلا • وهى شروط الساعة وعلاماتها كخروج ياجوج وماجوج بانهيار السد الذى أقامه ذو القرنين عليهم :

«فاذا جاء وعد ربى جعله دكا ، وكان وعد ربى حقا» (2)

وقال تعالى :

« ••• يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا » (3)

روى أن أبا هريرة قال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها • فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها ••••••

---

(1) روح التربية (ت) طه حسين : 111

(2) سورة الكهف : 98

(3) سورة الانعام : 159

ثم قرأ هذه الآية (I)

وهكذا فى لحظة محددة سبق تقديرها فى علم الله جل شأنه منذ الازل ستقوم القيامة بغتة ، والنهضة العمرانية فى الارض تكون قد بلغت أوجها كما يشير الى ذلك القرآن • ولكن هذا الموعد – رغم تلهف الناس على معرفته – مما استأثر به علم الله وحده :

« **يسألونك عن الساعة ، أيان مرساها ؟ قل : انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو • ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة • يسألونك كأنك حفى عنها • قل : انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » (2)

وقد بين القرآن الفرق بين الذين يؤمنون بالساعة والذين لا يؤمنون بها : « **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق • ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد** » (3)

ولعل مما يثير الفكر حقا ، أن يعرف كيف تمر السنون الطويلة على الذين ماتوا منذ آلاف السنين ، وما زالت أرواحهم فى البرزخ تنتظر يوم القيامة لتبعث فى أجسادها ؟ بل كيف سنمر بها نحن؟ وهذا الذى انقضى على موته ألف سنة ، أى قلق يعيش فيه من طول المدة ؟

(I) رواه البخارى

(2) سورة الاعراف : 187

(3) سورة الشورى : 18

والجواب : أن الانسان بموته ينعدم إحساسه بالزمن • فكل من ماتوا قديما ومن سيموتون قبل يوم القيامة بقليل ، عندما تقوم الساعة يتساوون فى الشعور بأنهم ماتوا قريبا ، ولم تمر عليهم الازمنة التى نشعر بها نحن فى الدنيا ، لان انعدام الزمن سيجعلهم يعتقدون أن قيام الساعة انما كان بعد موتهم بساعة على الاكثر (I)

وما أروع القرآن الكريم وهو يقرر هذه الحقيقة فى ألفاظ بليغة واضحة المعنى : « **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم** » (2) وان المجرمين يودون لو طال بهم أمد الموت ، وتؤلمهم سرعة قيام الساعة ، فيقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة :

« **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة • كذلك كانوا يؤفكون** » (3)

وقال جل شأنه :

« **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ، وتظنون إن لبثتم إلا قليلا** » (4)

فنستخلص من ذلك أن الغلط ينشأ كثيرا عن قياس الغائب على الشاهد ، فنقيس أحوال الانسان بعد الموت على أحوالها قبله، باعتبار أن الروح تبقى بعد مفارقة الجسد على ادراكها تعرف وتسمع وتحس ولكن ما أبعد الفرق بين الحالين !

(I) يوم القيامة : 129

(2) سورة يونس : 45

(3) سورة الروم : 55

(4) سورة الاسراء : 52

كيف يكون البعث

يستفاد من مجموع الآيات الكريمة الواردة فى اليوم الآخر أن هذا اليوم يبدأ بفناء عالمنا هذا ، وتبدل الارض والسماوات، ثم ينشىء الله النشأة الآخرة ؛ فيبعث الناس جميعا ، ويرد اليهم الحياة مرة أخرى . بأن يجمع أجزاءهم ويعيد الأرواح إليها لقوله تعالى : « **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة** » (1)

وقد أجمع أهل الملل على أن البعث هو معاد الابدان بعد النفخة الثالثة قال تعالى : « **ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون** » (2)

« **ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون** » (3)

«**واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب . يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج**» (4)

ويسمى هذا اليوم فى الاصل بيوم القيامة لأن الناس يقومون فيه كى يجتمعوا لفصل القضاء . وقد جاء فى ذلك قوله تعالى :

«**يوم يقوم الناس لرب العالمين**» (5)

---

(1) سورة يس : 51
(2) سورة يس : 51
(3) سورة الزمر : 68
(4) سورة ق : 41
(5) سورة المطففين : 6

وذلك لأنه بموته يخرج من الزمان والمكان . فتطوى الأحقاب لا يدرى بها فى رقدته وكأنها نومة ، لذلك يقول الكافرون عند البعث :

- « **يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟** » (1)

وليس من المبالغة القول بأن ما يتبقى على يوم القيامة بالنسبة لنا هو ما بقى لكل منا من سنوات أعمارنا فى الدنيا . فالقيامة بهذا الاعتبار قريبة (2)

أما بعث الاجساد فبجمع أجزائها المتفرقة لانشائها نشأة جديدة فان الحكمة فى الاعادة أبلغ فى الجزاء وفى إظهار القدرة الالهية من إنشاء أجسام جديدة ، أو من بعث مقتصر على الأرواح رغم أنها هى المدركة وحدها لأثر الطاعة أو المعصية فى الدنيا ، وللذة الجزاء أو ألمه فى الأخرى ، وأن البدن ليس الا آلة لها . ولكن اذا كانت آلة الكسب هى آلة الجزاء كان ذلك أبلغ فى كمال العدل .

قال الله تعالى :

«**كما بدأنا أول خلق نعيده . وعدا علينا إنا كنا فاعلين**»(3)
ومن حكمة الاعادة أيضا أداء الشهادة . قال سبحانه :

«**اليوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** » (4)

---

(1) سورة يس : 52
(2) مصطفى محمود : القرآن محاولة لفهم عصرى : 183
(3) سورة الأنبياء : 104
(4) سورة النور : 24

والمقصود من شهادة الأعضاء إظهار الغاية القصوى فى كمال العدل الالهى ، وذلك ليعذر الانسان من نفسه اذا هو لم يرض بشهادة الملائكة عليه ، أو لم يأخذ بمجرد علم الله تعالى ، فيتوهم أن الانكار ينفعه

ثم إن اختلاف النشأة الثانية عن النشأة الأولى لا يناقض هذه الحقيقة • فان المعروف الآن عند علماء الحياة ووظائف الاعضاء أن بدن الانسان فى تبدل دائم ، وحددوا مدة تبدل البدن كله بسبع سنوات • فهو دائما فى خلع ولبس حسب الاصطلاح الفلسفى من عظام ولحم وأنسجة وشرايين وخلايا ومع هذا فمن ارتكب جرما ثم عوقب عليه بعد مدة تبدلت فيها خلايا بدنه فلا يقال عرفا ولا عقلا أن المعاقب غير المجرم حتى من حيث الاحساس والشعور بالذنب • فمن قتل مثلا فى شبابه واقتص منه فى هرمه فما عوقب الا الجانى رغم تبدل خلاياه • وهذا يدل على أن الانسان شخصية تعقل وتريد وتحس وتسيء راكبة مطية البدن ، لابسة ثياب الاعضاء • فمهما تبدلت المراكب والثياب فالشخص هو الشخص على أى مركب ركب ، وبأى ثوب ظهر •

وقد ذكر بعض علماء النفس أن للانسان ذاكرتين ، لا ذاكرة واحدة : ذاكرة خارجية تنتمى الى الانسان الطبيعى ، وذاكرة داخلية تنتمى الى الانسان الروحى (أى الجسد الاثيرى)، فكل ما فكر فيه الانسان وأراده ونطق به وعمله ، وما سمعه ورآه قد تم تسجيله فى ذاكرته الداخلية أو الروحية التى يعرفها علم النفس الحديث بالعقل الباطن •

ومن حكمة الجزاء الجسمانى :

ـ أ ـ تنعيم الارواح وتعذيبها بما هو من جنس ما ألفته فى الدنيا بواسطة الابدان ، فان الارواح لطول صحبتها لها واعتيادها اللذات والآلام ، التى تصل اليها بواسطتها تبقى بعد مفارقة الأبدان متصورة تلك اللذات والآلام ، متشوقة الى جنس تلك اللذات ، نافرة من جنس تلك الآلام • فاذا اعيدت اليها ثم نعمت بما هو من جنس اللذات التى ألفتها كان ذلك أكمل للذاتها ، وأتم لنعيمها ، من أن تنعم بلذات روحية محضة • فكيف اذا جمع لها الامران • وكذلك ان أعيدت اليها ثم عذبت بما هو من جنس ألآلام التى كانت تنفر منها كان ذلك أبلغ فى ايلامه من ان تعذب بآلام روحية محضة فكيف اذا جمع لها الامران معا ؟ (1)

قال تعالى فى وصف ما ينعم به أهل الجنة :

« **عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا** » (2)

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث يرويه عنه أبو هريرة :

قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك فى كتاب الله : « **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** » (3)

وقال تعالى فيما توعد به أهل الضلال من عذاب :

---

(1) التنكيل بما فى تأنيب الكوثرى من الأباطيل : عبد الرحمن يمينى • ج : 2 / 312

(2) سورة الانسان : 21

(3) رواه البخارى ومسلم

« خذوه فغلــوه ثــم الجحيم صلوه ، ثــم فى سلسلة ذرعهــا سبعون ذراعا فاسلكوه • انه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين • فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام الا مــن غسلين لا يأكله الا الخاطئون » (1)

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث يرويه عنــه سمرة بن جندب :

« منهم من تأخذه النار الى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ، ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته » (2)

الى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى أوردت نعيم الجنة وعذاب النار فى صور حسية ، وأكدت ماديــة وجــود الانسان يومئذ ، ومادية مكانه الذى سوف يمضى فيه حياته الأبدية • فهو فيه بجسده وروحه ، لان الناس سيبعثون كذلك ، ولكن فى نشأة صالحة للخلود كما قال عز وجل :

« وأن عليه النشأة الأخرى » (3)

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بــدأ الخلــق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة • إن الله على كل شىء قدير » (4)

---

(1) سورة الحاقة : 30 — 37
(2) رواه مسلم
(3) سورة النجم : 46
(4) سورة العنكبوت : 20

أما النعيم المعنوى وهو رضى الله الذى هو أعظم من كــل تلك اللذات المادية فموجود كما جاء فى القرآن :

« ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » (1)

كما أن العذاب المعنوى كالخزى الذى يعتبر أشد ايلاما مــن النار موجود أيضا • كما ورد فى هذه الآية :

« ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته » (2)

فوجود العذاب والنعيم بنوعيهما الحسى والمعنوى فى الدار الآخرة دليل آخر على أن البعث يكون بالجسد والروح معا •

قال الله تعالى : **«ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجــداث إلى ربهم ينسلون »** (3)

أى يسرعون فى مشيهم مع مقاربة الخطوة • وذلك إنمــا يكون للأجسام

وقال سبحانه عن أهل الجحيم : **« كلمــا نضجت جلودهــم بــدلناهــم جلــودا غيــرهــا ليذوقــوا العــذاب »** (4)

وفى الايمان بذلك تصديق لوعد الله ووعيــده واخبــاره بكل ما يتعلق بالآخرة ، وإبطال لشبهة الذين يزعمون أن ذلــك من باب الترغيب والترهيب ، وكلاهما لا يؤثر فى الناس إلا إذا

---

(1) سورة التوبة : 72
(2) سورة آل عمران : 129
(3) سورة يــس : 51
(4) سورة النساء : 55

كان من جنس ما ألفوه واعتادوه فى الدنيا من الملذات والآلام الجسمانية ولكن الحكمة تقتضى وقوع ما أخبر به الله وتحقيقه حتى لا يكون إخباره كذبا • تعالى الله عن كل عيب او نقيصة •

أما الحالة التى يبعث عليها الناس فانها تختلف اختلافا كبيرا بحسب أعمالهم فى الدنيا • فالذين صلحت عقائدهم ، وزكت نفوسهم يكونون أكمل أجسادا وأرواحا ، والذين خبثت أعمالهم وفسدت عقائدهم وانحطت نفوسهم يكونون أنقص أجسادا وأرواحا عند البعث • قال الله تعالى : « **ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى • قال : رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا • قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** » (1)

وروى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يبعث كل عبد على ما مات عليه » اى : من مات على خير يبعث على حالة حسنة ، ومن مات على شر بعث على حال شنيعة •

ويؤيد ذلك ما روته عائشة رضى الله عنها قالت : قلت • يا رسول الله ! ان الله أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم • فقال : « يا عائشة • إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون ، فيصيرون معهم • ثم يبعثون على نياتهم » (2)

---

(1) سورة طه : 124 126
(2) رواه ابن حبان فى صحيحه •

أدلة البعث في القرآن

من العوامل التى أدت بطائفة من الناس قديما وحديثا الى انكار البعث واستبعاد حقيقته أن عقولهم لم تصدق إعادة الأجسام بعد انعدامها و تحللها ، وبعد أن يتداخل بعضها فى بعض • فان الانسان بعد أن يموت يتحول جسمه الى تراب ، ثم يتحول التراب الى نبات ، فيتغذى انسان آخر بذلك النبات ثم يموت • وهكذا يتحول كل انسان كغيره ، فتتداخل الاجسام • فكيف يبعث الناس بعد هذا التداخل ؟

ولو تعمق هؤلاء قليلا لوقفوا على جلية الامر ، ولأدركوا أن الموت فى واقعه ليس انعداما لاجزاء الانسان ، بل تفريقا لها • وعندما تتعلق ارادة الله بعودة الاجسام يجمع هذه الاجزاء المشتتة ويؤلفها على حالتها السابقة جسما وروحا وميزات • وذلك هو المعاد •

ويرشدنا الى هذا المعنى ما ورد فى القرآن الكريم من سؤال ابراهيم الخليل ربه بقوله : أرنى كيف تحيى الموتى ؟

فكان جواب الله له : « فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك » بمعنى أن يقطعها ابراهيم الى اجزاء صغيرة يختلط بعضها ببعض خلطا غير قابل للتجزئة والتمييز : « **ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا** » (1)

---

(1) سورة البقرة : 260

حيث يميز الله تعالى أجزاء كل طير عن صاحبه ويجمع اجزاء كل واحد منها مستقلا عن الباقى ، فاذا اكتملت لكل طائر هيئته الخاصة به أودع فيه الحياة ، حتى يطمئن ابراهيم الى هذه الحقيقة ، ويتحقق علمه ، وينتقل من معالجة الفكر والنظر الى بساطة الضرورة بيقين المشاهدة وانكشاف المعلوم انكشافا لا يحتاج الى معاودة الاستدلال ودفع الشبه عن العقل (I) • وهى طريقة حسية أراه بها احياء الموتى رأى العين •

وهذا المثل القرآنى الدقيق صريح الدلالة على أن الموت تفريق للاجزاء ، وليس انعداما لها كما يظن المنكرون الذين استعظموا عودة الحياة الانسانية بعد انقطاع الحواس وانفصال الشعور عن الجسد ؟

ان على من يفكر على هذا المنوال أن يعود بنظره الى التجربة التى تتكرر كل يوم لكى يرى نوعا من حدوث الحياة بعد الموت • فالارواح تبارح أجسادها عند النوم كما يحدث فى الموت ، ثم يعيدها الله فى اليقظة •

فعلى أساس فكرة كمال الله المطلق بنى القرآن الشطر الاول من النظرية الدينية العامة : وهى أنه لا شىء فى الوجود يستحق العبادة سوى الله الواحد القهار ، وبنفس الفكرة يؤسس القرآن ايضا الشطر الثانى من هذه النظرية وهى الايمان بالحياة الأخروية

فكما أن الله هو الاول ، فهو الآخر ، اذ اليه مآلنا لنقدم له أعمالنا ، ونتلقى منه الجزاء الذى نستحق :

(I) محمد الطاهر ابن عاشور : التحرير والتنوير • ج : 3/39 •

« كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون » (1)

وهنا يجب التمييز بين نقطتين : الاولى • خلود الروح • والثانية : بعث الجسد • ولا نعتقد أن الدعوة الاسلامية قابلت معارضة تذكر بشأن النقطة الاولى •

فالقرآن الذى يسجل بكل أمانة تفاصيل المعارضة التى أبداها خصوم المسلمين فى كل موضوع ، لم يذكر شيئا بشأن هذه النقطة بالذات • وهناك من الاسباب ما يجعلنا نفترض وجود فكرة مبهمة ـ وان كانت خيالية ـ عند العرب الوثنيين عن حياة الروح بعد الموت • فالشعر الجاهلى يوضح لنا أن تعطشهم الى الاخذ بالثأر جعلهم يؤمنون بكائن خرافى يسمونه « الهامة » وهى ظل للروح • وكانت الهامة تحوم ليلا فوق جدث القتيل وهى تقول : اسقونى • فاذا اقتص من القاتل امتنعت عن الظهور وعن ترديد مطلبها (2)

قال أبو دؤاد الايادى :

سلط الموت والمنون عليهم   فلهم فى صدى المقابر هام (3)

ولقد نفت السنة النبوية فيما نفت هذا المعتقد الجاهلى فقال صلى الله عليه وسلم : لا طيرة ولا عدوى ولا هامة • • • • •

(I) سورة البقرة : 28

(2) محمد عبد الله دراز : مدخل الى القرآن الكريم : 83 •

(3) محمد شكرى الآلوسى : بلوغ الأدب فى معرفة أحوال العرب • ج : 2 / 312 •

وأما النقطة الثانية وهى الخاصة ببعث الجسد فقد ركز عليها المشركون معارضتهم

« وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا • قل : كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ، فسيقولون : من يعيدنا ؟ قل الذى فطركم أول مرة » (1)

وبالمفهوم العلمى الجديد لأصل التكوين وهو الذرة نستطيع أن ننظر الى هذه الآية من زاوية العلم •

فالكائنات على اختلافها لا تخرج عن واحد من ثلاثة: فهى إما مركب من عنصر واحد كالحديد ، واما من عناصر مختلفة كالحجارة ، واما من جملة مركبات كالنجوم والشجر والانسان ونحو ذلك مما يكبر شأنه عند الناس • وكل صنف من هذه الاصناف الثلاثة يتكون من ذرات ، وهى واحدة فى تركيبها وصفاتها • وهى أصل التكوين • والذى أنشأ هذه الذرة وما تشكل منها يستطيع أن يعيد انشاءها وما تشكل منها ، فذلك أهون عليه •

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » (2)

ولا نجد اليوم بعد ما عرف عن حقيقة تركيب الأشياء أوضح من هذا التفسير الذى يوافق المفهوم العلمى للعصر (3)

---

(1) سورة الاسراء : 49 — 50 •
(2) سورة الروم : 27
(3) عبد العزيز عزام : فى الاسلام والعلم والحياة : 126

« ويقول الانسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا • أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » (1)

والانسان فى نفسه أقوى الحجج على نفى ما ينكره من البعث • فالله أحياه أولا وأماته ثانيا ، ولا تزال قدرته صالحة لاحيائه مرة أخرى وجمعه فى يوم القيامة • ولكن الانسان شديدة المراء والجدل •

ولعل المعرى أراد أن يغلق باب الجدل مع السفهاء حين أشار الى ترجيح رأى المصدق بالآخرة ، وتقبيح حياة الالحاد وما يكتنفها من فساد :

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تحشر الاجساد قلت : اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولى فالخسار عليكما

واذا نحن استعرضنا آيات البعث فى القرآن الكريم نلاحظ أولا : ما ننبه اليه من أن الناس ليسوا من القوة والعظمة بحيث يتسنى لهم أن يروا رأى العين ما لا يأتى تحت حواسهم ، أو يعرفوه على حقيقته بالاعتماد على تجربة من تجاربهم ، لكنهم اذا فتحوا أعينهم رأوا آيات الله وآثار حكمته ومظاهر قدرته الماثلة أمام أعينهم فى السماء وفى الارض وفى الانسان :

« الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش • وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى • يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » (2)

---

(1) سورة مريم : 66 — 67
(2) سورة الرعد : 3

« وآية لهم الارض الميتة أحييناها ، وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » (1)

« قل : كونوا حجارة حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون : من يعيدنا ؟ قل : الذى فطركم أول مرة » (2)

لقد قدم القرآن للمعارضين فى البعث حججه الفاصلة فى صور مختلفة وطرق متنوعة تدور كلها حول محور واحد . وهى اثبات قدرة الله الباهرة فى الانسان والطبيعة . فالانسان وتطوره فى الخلق ، وتحوله من حال الى حال ، والارض وما تخرجه من نبات كل ذلك آية من آيات قدرته .

قال الله تعالى : « **يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم . ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى . ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم . ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا . وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بان الله هو الحق وانه يحيى الموتى وانه على كل شىء قدير . وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور » (3)**

يقول سبحانه : ان كنتم فى ريب من البعث فلستم ترتابون فى انكم مخلوقون ، ولستم ترتابون فى مبدأ انتقال خلقكم من

---

(1) سورة يس : 33

(2) سورة الاسراء 50 _ 51

(3) سورة الحج : 5 _ 8 .

حال الى حال حين الموت والبعث الذى وعدتم به نظير النشأة الاولى . فهما نظيران فى الامكان والوقوع ، فاعادتكم بعد الموت خلقا جديدا كالنشأة الاولى التى لا ترتابون فيها ، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها ؟

قال ابن القيم :

« وقد أعاد سبحانه هذا المعنى وأبداه فى كتابه بأوجز العبارات وأدلها وأفصحها وأقطعها للعذر ، وألزمها للحجة كقوله تعالى :

« أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون (1)

فدلهم بالنشأة الاولى على الثانية ، وأنهم لو تذكروا لعلموا أن لا فرق بينهما فى تعلق القدرة بكل واحدة منهما . وقد جمع سبحانه بين النشأتين فى قوله : « **وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها اول مرة . وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا . فاذا أنتم منه توقدون . أوليس الذى خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ! وهو الخلاق العليم . انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » (2)**

---

(1) سورة الواقعة : 58 _ 62

(2) سورة يس : آخر السورة .

فتضمنت هذه الآيات عشرة أدلة :

أحدها : « أو لم ير الانسان ..... » فذكره بمبدأ خلقه ليدله به على النشأة الثانية . ثم أخبر أن الجاحد لو ذكر خلقه لما ضرب المثل . بل لما نسى خلقه ضرب المثل .

وفى قوله (ونسى خلقه) ألطف جواب وأبين دليل . وهذا كما تقول لمن جحدك أن تكون قد أعطيته شيئا : فلان جحدنى الاحسان اليه ونسى الثياب التى عليه ، والمال الذى معه ، والدار التى هو فيها ؛ حيث لا يمكنه جحد أن يكون ذلك منك ،

ثم أجيب عن سؤاله بما يتضمن أبلغ الدليل على ثبوت ما جحده فقال : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » فهذا جواب واستدلال قاطع . ثم أكد هذا المعنى بالاخبار بعموم علمه بجميع الخلق . فان تعذر الاعادة عليه انما يكون لقصور فى علمه أو قصور فى قدرته . ولا قصور فى علم من هو بكل خلق عليم ، ولا قدرة فوق قدرة من خلق السماوات والارض . واذا أراد شيئا قال له : كن ، فيكون ، وهو الذى بيده ملكوت كل شىء ، فكيف تعجز قدرته وعلمه عن احيائكم بعد مماتكم ، ولم تعجز عن النشأة الاولى ولا عن خلق السماوات والارض ؟

ثم أرشد عباده الى دليل واضح جلى متضمن للجواب عن شبه المنكرين بألطف الوجوه وأبينها وأقربها الى العقل ، فقال:

«الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون» فان هذا دليل على تمام قدرته ، واخراج الاموات من قبورهم ، كما أخرج النار من الشجرة الخضراء . وذلك جواب عن شبهة من قال من منكرى المعاد : الموت بارد يابس ، والحياة طبعها

الرطوبة والحرارة ، فاذا حل الموت بالجسم فلا يمكن أن تحل فيه الحياة بعد ذلك لتضاد ما بينهما . وهذه شبهة تليق بعقول المكذبين الذين لا سمع لهم ولا عقل . فان الحياة لا تجتمع مع الموت فى المحل الواحد ليلزم ما قالوا . بل اذا أوجد الله فيه الحياة وطبعها ارتفع الموت وطبعه . وهذا الشجر الاخضر طبعه الرطوبة والبرودة ، ولكن تخرج منه النار الحارة اليابسة ، ثم ذكر ما هو أوضح للعقول من كل دليل وهو خلق السماوات والارض مع عظمها وسعتها وانه لا نسبة للخلق الضعيف اليهما ومن لم تعجز قدرته ولا علمه عن هذا الخلق العظيم الذى هو أكبر من خلق الناس ، فكيف تعجز عن احيائهم بعد موتهم ؟

ثم قرر هذا المعنى بذكر وصفين من أوصافه مستلزمين لما أخبر به فقال : بلى ! وهو الخلاق العليم . فكونه خلاقا عليما يقتضى أن يخلق ما يشاء ولا يعجزه ما أراده من الخلق .

ثم قرر هذا المعنى بان عموم ارادته وكمالها لا يقصرعنه ولا عن شىء أبدا فقال : « انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له: كن فيكون » فلا يمكنه الاستعصاء عليه ولا يتعذر عليه ، بل يأتى طائعا منقادا لمشيئته وارادته ،

ثم زاده تأكيدا وايضاحا بقوله : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء » فنزه نفسه عما نطق به اعدؤه المنكرون للمعاد ، معظما لها ، بان ملك كل شىء بيده ، يتصرف فيه المالك الحق فى مملوكه الذى لا يمكنه الامتناع عن أى تصرف شاءه فيه

ثم ختم السورة بقوله : « واليه ترجعون » . كما أنهم ابتدأوا منه هو ، فكذلك مرجعهم اليه . فمنه المبدأ واليه المعاد » (1)

(1) محمد بن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين . ج : 1/140-142

ان الفلاح يستودع ظلمات التراب حبات صغيرة فاذا حقله يتحول الى جنة يانعة • فما ظن الانسان بنفسه ؟

فالارض ومن عليها خلق صغير بالنسبة الى الوجود الضخم الذى يزحم الفضاء البعيد ، ويزخر به الملكوت الرحيب

وشان الناس الى جانب العالم الآخر قليل • «**لخلق السماوات والارض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » (1) « فكيف يستكثر على من يقيم قصرا منيف الشرفات ، شاهق العمد أن يبنى كوخا تافها بعد هدمه!» (2)

ان من صنع سيارة ثم قام بتفكيكها الى آلاف من القطع الصغيرة ، ثم قال بأنه قادر على اعادتها كما كانت ، فليس هناك من يتصدى له ليطلب منه الدليل على هذه القدرة • وما ذاك الا لان فاعل الشيء اولا قادر على فعله ثانيا وثالثا والى مئات المرات • وبهذا النحو من الاستدلال على امكان المعاد ، برهن القرآن الكريم على بداهة البعث •

ورسول الله صلى الله عليه وسلم سار فى المنهج القرآنى نفسه فى الاقناع به

فعن أبى رزين العقلى قال : يا رسول ! كيف يعيد الله الخلق ، وما آية ذلك ؟ قال « أما مررت بوادى قومك ، ثم مررت به يهتز أخضر ؟ قال : نعم • قال : فتلك آية الله فى خلقه ، كذلك يحيى الله الموتى »

---

(1) سورة غافر 57

(2) عقيدة المسلم : 206

وهذا من نوع قياس الدلالة • وهو الجمع بين الاصل والفرع بدليل العلة وملزومها ومثله قوله تعالى :

« **ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت • ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شى قدير** » (1)

فدل سبحانه عباده بما أراهم من الاحياء الذى تحققوه وشاهدوه على الاحياء الذى استبعدوه ، وذلك قياس احياء على احياء ، واعتبار الشيء بنظيره • والعلة الموجبة هى: عموم قدرته سبحانه ، وكمال حكمته • واحياء الارض دليل العلة •

ومنه قوله تعالى :

« **وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج • ذلك بان الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى ، وانه على كل شيء قدير ، وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور** (2)

فقد جعل الله احياء الارض بعد موتها نظير احياء الاموات، واخراج النبات منها نظير اخراجهم من القبور ، وجعل ذلك آية ودليلا على خمسة مطالب :

أحدها : وجود الصانع ، وأنه الحق المبين ، وذلك يستلزم اثبات صفات كماله وقدرته وارادته وعلمه وحكمته ورحمته

---

(1) سورة فصلت : 39

(2) سورة الحج : 5 – 7

الثانى : انه يحيى الموتى .

الثالث : عموم قدرته على كل شىء .

الرابع : اتيان الساعة وانها لا ريب فيها .

الخامس : انه يخرج الموتى من القبور كما أخرج النبات من الارض .

وقد قرر سبحانه هذا الدليل فى كتابه مرارا لصحة مقدماته ، ووضوح دلالته ، وقرب تناوله ، وبعده عن كل شبهة (1)

كما استعمله فى ثلاثة أساليب وهى :

1) – الاسلوب الوصفى التقريرى . وهو تقرير الحقائق من خلال ما يشاهد أو يوصف كالآيات السابقة ، وكقوله سبحانه : « **وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** » (2)

2) – الاسلوب التمثيلى : وهو ضرب الامثال لتقريب المراد ، وتفهيم المعنى وايصاله الى ذهن السامع واحضاره فى نفسه بصورة المثال . فان النفس تأنس بالنظائر والاشباه ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير . وكثيرا ما تبرز الامثال المعقولة فى صور مجسمة وتلبس ثوب المحسوس . ولا

(1) انظر اعلام الموقعين . ج : 1/144 – 145

(2) سورة الأعراف : 57

يلزم ان تكون هذه الامثال خيالية أو مفترضة ، بل تكون حقيقة واقعة كما فى مثل الرجل الذى مر على قرية : قيل هو عزيرا ، وقيل هو حزقيال نبى اسرائيل كان معاصرا لأرميا ودانيال . وقد أراه الله احياء العظام وأراه آية فى طعامه وشرابه وحماره

« **أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها . قال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه . قال كم لبثت ؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم . قال : بل لبثت مائة عام . فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه . وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما . فلما تبين له ، قال : أعلم ان الله على كل شىء قدير** » (1)

فهذه مخاطبة بين الخالق وبعض عباده على طريق المعجزة ، ليجعل خبره آية للناس من أهل الايمان الذين يوقنون بما أخبرهم الله تعالى . وهذا بعث خارق للعادة . وهو غير بعث للحشر .

قال السيوطى : فان قلت : ما الحكمة فى أن عزيرا سأل الاحياء فعاقبه ، وابراهيم سأل مثل ذلك فأجابه : فالجواب : أن عزيرا سأل عن القدرة ، فقال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ وابراهيم سأل عن كيفية القدرة ، فقال : كيف تحيي الموتى ؟ اذ لا يشك نبى الله فى القدرة الالهية . فسؤاله انما كان على جهة الاستخبار ، لا الانكار كما زعمه بعضهم (2)

(1) سورة البقرة : 258

(2) السيوطى : معترك الأقران فى إعجاز القرآن . ق : 3/35 (ط القاهرة 1973)

3) ـ الاسلوب القصصى : الذى هو من الطرافة والتأثير بمكان ، لما للقصة من دور هام فى تكوين العقيدة والاخلاق ، اذ كثيرا ما يشارك قراء القصة أبطالها وجدانيا ، وينفعلون لمواقفهم • فهى اذن أسلوب فى التوجيه بدون مواجهة ، ومنهج فى التربية بدون مصادمة • ومن أهداف القصة القرآنية تركيز عقيدة البعث فى القلوب ، ومن ذلك مثلا قصة أهل الكهف : وهم فتية تبين لهم الحق فى جو تسوده الوثنية والظلم ، فآمنوا بالله وعبدوه ، ولما انكشف أمرهم لم يروا سبيلا الى النجاة الا ان يفروا الى الله ، ويلجأوا الى كهف يستروحون فيه رحمته عسى أن يهىء لهم من أمرهم رشدا • فيضرب الله على آذانهم فى الكهف ما يزيد على ثلاثمائة سنة ينامون فيها نومة طويلة وكأنها يوم أو بعض يوم •

« أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا الخ •••• » (1)

لقد ناموا كالموتى ثم بعثوا . وذلك هو المعنى الذى أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« •• والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون •• »

والقرآن اذ يدعم عقيدة البعث بمختلف الوسائل والطرق، فليس ذلك فقط على قرار ألزم الله به نفسه ، وانما على أحد مستلزمات العدل الالهى والحكمة السامية ، حتى لا تكون حياة الانسان بلا غاية ولا هدف • ان حاجة الانسانية ملحة الى الآخرة ؛ لضمان الخلود ، واقامة العدل ، وتنظيم الحياة •

---

(1) سورة الكهف : 5 ـ 29 •

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت • بلى وعدا عليه حقا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ليبين لهم الذى يختلفون فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » (1)

« وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » (2)

---

(1) سورة النحل : 38 ـ 39

(2) سورة الجاثية : 22

مراجع البحث

الآلوسي . محمد شكري
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب
(ط مصر 1958)

* * *

آل ياسين . محمد حسين
المعاد
(ط بيروت 1972)

* * *

اقبال . محمد
تجديد التفكير الديني في الاسلام (تعريب) عباس محمود
(ط القاهرة 1955)

* * *

امين . أحمد ورفيقه
قصة الفلسفة الحديثة
(ط القاهرة 1936)

* * *

بنت الشاطئ . عائشة عبد الرحمن
القرآن وقضايا الانسان
(ط بيروت 1972)

* * *

جبران . خليل جبران
المواكب
(ط بيروت . م. الكشاف)

* * *

نقـرة • التهـامي

سيكولوجية القصة فى القرآن

(ط تونس 1974)

* * *

الجـوزية محمـد بن قيـم

مـدارج السـالكين

(ط بيروت 1973)

اعـلام الموقعيـن عن رب العالميـن

(ط بيروت 1973)

التفسيـر القيـم

(ط بيروت)

* * *

ابـن حـزم • علـى

الفصل فى الملل والأهواء والنحل

(ط مصر 1317)

* * *

حسيـن محمد محمـد

اتجاهات هدامة فى الفكر العربى المعاصر

(ط بيروت 1970)

* * *

حمـزة محمد شاهيـن

مع الفكر الاسلامى فى بعض قضاياه

(ط القاهرة 1970)

* * *

خـان وحيد الديـن

الاسلام يتحدى (تعريب) ظفر الاسلام خان

(ط بيروت 1973)

الدين فى مواجهة العلم (تعريب) ظفر الاسلام خان

(ط القاهرة 1973)

* * *

خليـل • عمـاد الديـن

فى النقد الاسلامى المعاصر

(ط بيروت 1972)

* * *

دراز • محمد عبد اللـه

مدخل الى القرآن الكريم

(ط الكويت 1971)

* * *

الرصـافى • معـروف

ديـوان الأوشـال

(ط بغداد 1934)

* * *

سـابق • سيـد

العقـائد الاسلاميـة

(ط مصر 1967)

* * *

سلـوم • محمـد

مختصر لوامع الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية

(ط مصر 1960)

* * *

السيوطـى • عبد الرحمـن

لبـاب النقول فى أسباب النزول

(ط القاهرة 1954)

* * *

شوقى ، أحمد
الشوقيات
(ط مصر 1946)

* * *

عبد الرزاق ، أبو بكر
النفحات الغزالية
(ط 2 القاهرة)

* * *

عبيد ، رءوف
الانسان روح لا جسد
(ط القاهرة 1966)

* * *

عزام ، محمد عبد العزيز عزام
فى الاسلام والعلم والحياة
(ط دار الشرق 1971)

* * *

ابن عاشور ، محمد الطاهر
التحرير والتنوير
(ط الدار التونسية للنشر)

* * *

العقاد ، عباس محمود
بعد الأعاصير
(ط مصر 1950)

* * *

الغزالى ، أبو حامد
احياء علوم الدين
(ط بولاق)

* * *

الغزالى ، محمد
ركائز الايمان بين العقل والقلب
(ط بيروت 1967)
عقيدة المسلم
(ط دار الكتاب العربى 1952)

* * *

ابن قتيبة ، محمد بن عبد الله
عيون الأخبار
(ط القاهرة 1930)

* * *

القرطبى ، محمد
الجامع لأحكام القرآن
(ط مصورة ، القاهرة 1967)

* * *

القشيرى ، عبد الكريم
لطائف الاشارات
(ط القاهرة ، تحقيق ابراهيم بيونى)

* * *

قطب ، سيد
فى ظلال القرآن
(ط 1 مصر)
مشاهد القيامة فى القرآن
(ط بيروت)

* * *

كرم ، يوسف
تاريخ الفلسفة اليونانية
(ط مصر 1936)

* * *

لوبون — **قوستاف**
روح التربية (تعريب) طه حسين
(ط دار الهلال مصر)

* * *

محمود — **مصطفى**
القرآن محاولة لفهم عصرى
(ط بيروت 1973)
حوار مع صديقى الملحد
(ط 1 – 1974)

* * *

مذكور — **ابراهيم**
فى الفلسفة الاسلامية
(ط مصر 1968)

* * *

مظهر • — **سليمان**
قصة الديانات
(ط بيروت)

* * *

المعرى — **أبو العلاء**
لزوم ما لا يلزم
(ط مصر 1924)

* * *

ناصر — **محمد على**
أصول الدين الاسلامى
(ط بيروت)

* * *

نوفل • — **عبد الرزاق**
يوم القيامة
(ط القاهرة)

* * *

وافى • — **على عبد الواحد**
اليهود واليهودية
(ط دار الهناء مصر)

* * *

اليمنى • — **عبد الرحمن**
التنكيل بما فى تأنيب الكوثرى من الأباطيل
(ط مصر 1386 هـ)

* * *

الفهرس

انتهى طبع هذا الكتاب
بالشركة التونسية لفنون الرسم
STAG
20 نهج المنجي سليم - تونس
في شهر سبتمبر 1975